الجمهوريــة الجزائريــة الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالـــي والبحث العلمـــي

جامعة محمد بوضياف –المسيلـــة–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

الرقم التسلسلي .....

الموضوع

العلم والدين عند برتراند راسل

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالبين :

- محمد الأمين قوادري
- سفيـــان عمـــران

إشراف الدكتور :

خوني ضيف الله

الرئيس	جلول مقورة	أستاذ محاضر قسم أ	جامعة المسيلة
المشرف والمقرر	خوني ضيف الله	أستاذ محاضر قسم أ	جامعة المسيلة
الممتحن	رياض خوضر	أستاذ مساعد قسم أ	جامعة المسيلة

السنة الجامعية (2017-2018)

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ المُؤمِنُونَ

أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ
إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ
ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

إهداء

إلى كلّ إنسانٍ كان لنا شعاعا نستنير بهُ أمام مدلهمّات الحياة ، وعتمة التحديات .

إلى كلّ من زرع فينا روح الطموح ، وجمالية التفاؤل من أجل تحقيق أهدافنا القريبة والبعيدة.

إلى كلّ من علّمنا أن الحكمة ضالتنا أنّى وجدناها فنحن أحقّ بها .

محمد الأمين .ق / سفيان .ع

شكر وتقدير

لابدّ في البداية أن نجلّ أهل الفضل لفضلهم ، فنتقدّم بجزيل الشكر والتقدير لأستاذنا المشرف الدكتور "خوني ضيف الله" .

كما نتقدم بتشكرنا الخالص المليء بالودّ والاحترام لكل أساتذة قسم الفلسفة بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية (جامعة محمد بوضياف –المسيلة-)

محمد لمين .ق / سفيان .ع

مقدمة

يعتبر موضوع العلاقة بين العلم والدين، من المواضيع الهامّة في تاريخ الفكر الإنساني لاعتبارات كثيرة منها أنّ: الدين والعلم من الظواهر الاجتماعية التي تساهم بشكل أو بآخر في بناء الحضارات أو سقوطها ، تقدمها أو تخلفها ، ولقد تأرجحت هذه العلاقة بين التنافر والتجاذب ، بين الصراع والتوافق ، فكانت بمثابة علاقة جدلية ، انتهت بانقسام المفكّرين إلى فريقين ، وهو الانقسام الذي شهده الفكر الفلسفي منذ عصور قديمة خاصّة الفكر الأوروبي ، وزاد الجدل حدّة في "العصور الوسطى" ، أين فرضت الكنيسة هيمنتها على جميع الميادين، فصار كل شيء يؤخذ من الكتاب المقدس ، حتى الاكتشاف العلمي يجب أن يرتبط به، ويبرّر تعالميه، وكم من اكتشاف علميٍّ خالف النصوص المقدّسة انتهى بصاحبه إلى عواقب فادحة ، وصلت درجة القتل، فقامت العلاقة حينها على الصراع وكانت دعاوى من هنا، وهناك تظهر بين الفينة والأخرى تدعو إلى الوفاق ، وبدأت الأمور تهدأُ قليلا مع بروز حركات "الإصلاح الديني" ، حيث نال العلماء نوعا من الحرية التي أبعدتهم عن الاضطهاد ، اتضحت معالمها أكثر مع "عصر التنوير"، وهناك عرفت أوروبا قفزة كبيرة على جميع المستويات ، وهكذا حتى العصر الحديث ، بدأت تظهر كثير من التوجُّهات تسعى إلى تهذيب العلاقة بين العلم والدين .

واستمرّ الوضع كذلك مع سيادة العلم "النيوتوني" الذي كان في نظر فلاسفة القرن التاسع عشر(19) بمثابة التفسير اليقيني، والمطلق للظواهر المادّية، والقائم على أساس رياضي هو "الهندسة الإقليدية" إذ جعل فكرتا الزمان ، والمكان مطلقتين ، وأدّى هذا إلى التسليم بالحتمية والآلية، والمطلقية ، وهي المبادئ العلميّة التي قامت عليها المذاهب الفلسفية الحديثة، علما أنّ هذه المبادئ و خاصة فكرة "المطلقية" ، إنعكست بدورها على مفهوم الدين في العصر الحديث؛ الروح المطلق ، والحقائق الأزلية اللامتناهية في الزمان والمكان هي المضامين الروحية أو المقولات العقلية التي عبّرت عنها بوضوح

"المثالية الهيجيلية" وصار "العلم النيوتوني" بمثابة الدليل الحاسم ، الذي يؤكد لنا في كل لحظة أنّ العلم لم يكن ليحارب الدّين والعكس، خاصة وأنّ صاحبه صرّح مرارا وتكرارا أنّ الدقّة اللامتناهية الموجودة في الكون لا ترجع إلى الصدفة ، بل إن هناك تخطيط كبير، وحكمة عظيمة مصدرها الله. غير أنّه ومع مطلع القرن العشرين (20) حدثت ثورة على هذا العلم مع بروز "نظرية النسبية" التي غيّرت كافّة المفاهيم ، خاصة وأنها ارتبطت بظهور "الهندسات اللاإقليدية"؛ ما أدّى إلى التخلّي عن فكرة المطلقية في الزمان و المكان،والتشكيك في مبدأ الحتمية، وهذا أثر بدوره على مفهوم الدين في الفلسفة المعاصرة، وعادت مرة أخرى لتبرز علاقة الدين والعلم إلى السطح ، إذ لم تغب هذه القضية واستمر حضورها. وفي هذا القرن بالذات (القرن العشرين) برز إسم الفيلسوف الإنجليزي "برتراند راسل" Bertrand Russell[1] كواحد من الفلاسفة الذين تناولوا قضية العلاقة بين العلم والدين فعلى اعتباره شخصية متفردة ؛ لم تكن لتغيب عنه مثل هذه القضايا ، بل وأكثر من ذلك تميّز طرحه بالعمق والتحليل الدقيق ، حيث خصّص من أجل سبر أغوار القضية مؤلّفًا بأكمله عنوانه "العلم والدين" Religion and Science بالإضافة إلى مقالات أخرى وحوارات متنوعة .

[1] فيلسوف إنجليزي ولد في "انجلترا سنة 1872 ، وتوفي في مقاطعة "ويلز" سنة 1970 ، كانت أمّه من مناضلات الحركة النسوية ، وهو من أهم أعلام "المنطق الرياضي" ، بدأ " أفلاطونيا" ثم تحوّل بالتدريج نحو "المذهب الوضعي" ، عرف كذلك بدفاعه عن السلام ، وصفه عديد من المفكرين بأنه فيلسوف علمي كلاسيكي ، يرى أن الطريق للوصول إلى المعرفة يكون بواسطة مناهج العلوم الطبيعية ، تتصف فلسفته بالشكّ ، ورغم عبقريته وضخامة إنتاجه لم يتمكن من وضع مذهب فلسفي متناسق ، بل لم يستطع تفادي التناقض في كتاباته ، فظل موقفه الفكري متغيرا باستمرار ، أبدى في سنّ مبكرة ميله إلى الرياضيات ، وأسهم بشكل خاص في فلسفة "المنطق والرياضيات" ، كان شهرته الواسعة ترجع إلى مواقفه وكتاباته السياسية والاجتماعية ، ومنها الدين ، كان يحاول قدر المستطاع تقريب الفلسفة من العلم ، عن طريق ردّ الرياضيات إلى المنطق من أهم مؤلفاته : أصول الرياضيات Principles of Mathematics سنة 1903 مشكلات الفلسفة Problems of Philosophy، سنة 1912 تحليل العقل Analysis of the mind سنة 1921 ، الدين والعلم Religion and Science سنة 1935 . ينظر (رحيم أبو رغيف الموسوي : الدليل الفلسفي الشامل ، ج3 ، دار المحجّة البيضاء للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، 2013 ، ص ص 11 ، 12 ، 13

واهتمام "راسل" بموضوع العلاقة بين العلم والدين جعلنا نطرح السؤال الأساسي :

هل العلاقة بين العلم والدين علاقة صراع أو توافق ؟

ولعلّ هذا السؤال تتفرع عنه الأسئلة التالية :

- لماذا يتصارع العلم مع الدين ؟
- هل قدّم العلم والدين مساهمات للحضارة الإنسانية؟

إن الإجابة عن هذه التساؤلات وضعتنا في عمق الإشكالية، وقد اشتملت دراستنا لها على مقدمة ، وثلاثة فصول وخاتمة، فضلا عن القائمة البيبليوغرافية ، وجملة من الفهارس:

وقد تناولنا في المقدمة التعريف بموضوع الدراسة ، والذي اشتمل على الإطار العام له ؛ مع تساؤلاته الرئيسية والفرعية ، مع خطة الدراسة وإجراءاتها المنهجية ؛ والتي من خلالها حاولنا الإجابة على التساؤلات الفرعية لمعالجة الإشكالية العامة ، ثم أهداف الموضوع وأهميته النظرية والتطبيقية، فضلا عن دواعي اختياره الذاتية والموضوعية، مع أبرز المصادر والمراجع المعتمدة فيه، وانتهاء بأهم العوائق التي واجهتنا في إنجازه.

وفي الفصل الأول: تحدثنا عن التأصيل النظري للفلسفة العلمية عند "راسل"، وقد اشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث:الأول عرضنا فيه للظروف والعوامل التي ساهمت في بلورة الفلسفة العلمية عند "راسل"، باعتبارها الأساس الذي قامت عليه فلسفته والثاني عرضنا فيه نظرية المعرفة أو فلسفة التحليل عند "راسل"،ومحاولات التقريب قدر المستطاع بين الفلسفة والعلم،من خلال "الذرية المنطقية" و "الواحدية المحايدة" والثالث خصصناه لدراسة أهم الاتجاهات الفلسفية المعاصرة التي ساهم "راسل" في وجودها وتطويرها ، والتي ساهمت هي الأخرى في تطوير فلسفته .

أما الفصل الثاني : فهو فصل يناقش الفلسفة الدينية عند "راسل"، وقد اشتمل بدوره على ثلاثة مباحث: عرضنا في المبحث الأول المؤثرات الفكرية الأولى التي ساهمت في تكوين رؤيته الدينية ، أمّا الثاني تناولنا من خلاله نظرة "راسل للدين"، وعلاقته بالفلسفة والحرية، والعقلانية من جهة ، والتربية والأخلاق من جهة أخرى، والثالث خصّصناه لدراسة موقف "راسل" من المسيحية، باعتبارها الديانة السائدة في الدّول الغربية ، والتي مثلتها الكنيسة التي كانت أهم بؤر الصراع بين العلم والدين،والتي تصدّى لها "راسل" في مقاله المشهور لماذا لست مسيحيا ؟

أما الفصل الثالث: فقد خصّصناه للحديث عن جدلية العلم والدين عند "راسل" ونقول "جدلية" ؛ لأن العلاقة عند "راسل" تقوم على الصّراع ، حيث خصصنا المبحث الأول للحديث عن أسباب الصراع ، وفي المبحث الثاني تحدثنا عن مظاهر الصراع ثم الثالث خصصنا لنتائج الصراع ، وهو انتصار للعلم في النهاية كونه يتميّز بالموضوعية رغم الانتصارات الأولى التي عرفها الدين .

وتضمنت الخاتمة أهم النتائج، والتوصيات كما شملت القائمة البيبليوغرافية جميع المصادر، والمراجع المعتمد عليها في إنجاز هذه الدراسة، بالإضافة إلى فهرس الأعلام .

وقد اتبعنا في ذلك جملة من الإجراءات المنهجية، التي فرضتها علينا طبيعة الموضوع المدروس، الذي يتطلب التحليل والمقارنة تارة، والنقد والدراسة التاريخية تارة أخرى ، هذا ما جعلنا نعتمد على مجموعة من المناهج، وفي مقدمتها المنهج التحليلي كمنهج رئيسي ويتضح ذلك في مستويات التحليل ، التي قمنا بها أثناء عرضنا لمقومات الفلسفة العلمية والدينية عند "راسل" ، كما اعتمدنا كذلك على المنهج التاريخي من خلال محاولة استقصاء الإرهاصات الفكرية التي أدت إلى تبلور مفهومي العلم ، والدين عند "راسل" ، في الوقت الذي حاولنا فيه إجراء عمليات مقارنة بين مفاهيم الدّين و الفلسفة ، الدّين والعلم

العلم والفلسفة، الدّين والعقلانية ، الدّين والحرية ، الدّين والأخلاق ، فضلا عن عمليات الموازنة بين آراء بعض المفكرين والفلاسفة حول نظرتهم للدّين والعلم ، مع إبراز نقاط الاختلاف بين وجهات النظر الفلسفية، العلمية والعقائدية و حتى السوسيولوجية، ووظّفنا كذلك المنهج النقدي بشكل جزئي ، وذلك في نهاية كل عرض لآراء الفلاسفة والمفكرين حول الموضوع.

وقد كان الهدف من هذه الدراسة: تقصّي حقيقة مفهوم الدين عند "راسل"، ونظرته إلى العلم،ثم الإطّلاع على الإشكال الفلسفي المتعلّق بطبيعة العلاقة بين العلم والدين وهو إشكال عميق جدّا، ثمّ اتخاذ موقف موضوعي من ذلك، ومحاولة إيصال الفكرة للمتلقي والمهتم ، مع حصر أهمّ التحديات التي تواجه المنظومة الدّينية في ظل التقدّم العلمي في عهد "راسل" ، وفوق ذلك كله التعرّف على طريقة تفكير "المدرسة التحليلية الإنجليزية"التي نحت منحى واقعيا يقدّس العلم خلافا "للمدرسة الهيجيلية"،التي نحت منحى مثاليا يقدس الدّين،وفي النهاية إثراء الرصيد المعرفي،وتدعيم مكتبة الجامعة.

و فيما يتعلق بالدراسات السابقة حول الموضوع فهي جدّ نادرة، أغلبها عالجت الفكر السياسي عند "راسل"،كما أنّ هناك دراسات تناولت المنطق عند "راسل" وأخرى في الرياضيات والتربية و الأخلاق، الأمر الذي صعّب من مهمتنا، لكن في مقابل ذلك فإن هذه الندرة في الدراسات جعلت موضوعنا هذا يتسم بنوع من الجدّة والابتكار.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في إطار حركة البحث العلمي عموما، في توسيع مجال البحث في هذا الموضوع، بالنظر لنقص الدراسات السابقة حوله، كما تتجلى أهميتها التطبيقية في كون العلاقة بين العلم و الدّين إشكالية عصرية منفتحة على الرهانات المستقبلية، وهي على صلة مباشرة بتلك الثورة المفاهيمية التي حدثت على مستوى العلم و الإبستيمولوجيا، رغم بداياتها القديمة عادت مرّة أخرى لتحتلّ صدارة الدراسات الفلسفية

و ما يزيد من أهمية الموضوع كونه يتخذ طابعا عالميا شموليا، فمسألة العلم والدين لا تخص فردا أو شعبا بعينه ، كما أنه ينشد غايات نبيلة مثل إعادة الاعتبار للعقل والتخلي عن كل ما هو ميتافيزيقي ، وتقديس الحرية الإنسانية،وهي مؤشرات تعكس مدى مساهمة الفلسفة في الارتقاء بالفكر البشري، وتقدّم الحضارات.

وقد تم اختيار هذا الموضوع استجابة للعديد من الدواعي الذاتية والموضوعية نذكر منها:

- أهمية الموضوع بالنّظر إلى الرهانات الواقعية التي يقف عليها والأفاق المستقبلية التي يستهدفها، سواء على مستوى الدراسات الأكاديمية، أوالبحوث العلمية.
- الإيمان بالتفتح على الغير مهما كان توجهه و إيديولوجيته، فتقبل فكر الآخر قيمة إنسانية وحضارية تتماشى وروح عصرنا، وتعكس مدى تطور الفكر الإنساني، وثقافة الفرد الراقية والمتفتحة.
- التأثر الكبير بنتائج العلم و ما أفرزه من مفاهيم جديدة في حقل فلسفة العلوم ، وصلة كلّ ذلك بالدين، ومن ثم الإطلاع على تطور العلاقة بين الظاهرتين عبر التاريخ ، وفي فكر الفلاسفة خاصّة.

وعلينا أن نعترف في الأخير أن هذا البحث المتواضع لا يدّعي الشمولية في تحليلاته للقضية ، فهو لا يطرح الإشكاليات الفلسفية الكاملة ، المتعلقة بمسألة العلم والدين عند "راسل" بل هو يعالج جزءا منها ، ذلك أنّ "برتراندراسل" شخصية فلسفية متفردة ، تتسم أطروحاته بالعمق وقوة التحليل ، يحتاج كلّ موضوع من المواضيع التي تطرق إليها للبحث الطويل ، فلا تكفي مجرد صفحات لتغطية هذا الموضوع.

الفصل الأول

الفلسفة العلمية عند برتراند راسل

تمهيد

المبحث الأوّل : عوامل تبلور الفلسفة العلمية عند راســـــــل

المطلب الاول :الإرهاصات الأولى لتشكل الفلسفة العلمية عند راسل

المطلب الثاني :"كمبريدج" وبداية الثورة على الفلسفات المثالية

المطلب الثالث: فلسفة الرياضة والمنطق

المبحث الثاني : نظرية المعرفة عند برتراند راســـل

المطلب الأول : الفلسفة بنظرة علمية

المطلب الثاني : فلسفة الذرية المنطقية

المطلب الثالث: الواحدية المحايدة بين العقل والمادة

المبحث الثالث : إتجاهات في فلسفة برتراندراسل العلمية

المطلب الأول : الواقعيــة الجديدة

المطلب الثاني : الفلسفة التحليليــة

المطلب الثالث: الوضعية المنطقية

نتائج الفصل الأول

تمهيد :

لم يكن الفكر الفلسفي العلمي عند "برتراندراسل" وليد حقبة زمنية قصيرة ، أو ظرف معين ووحيد ، أو لحظة تأمّلٍ عابرة ، بل كان فكرا عميقاً رصيناً ، يعبّر عن تماسك الطرح الفلسفي وخصوبته، إذ أنَّ فكره لم يعرف الثبات ، بل عايش السيرورة والتغيّر،تحوّلات جعلته لا يتوقف عن التأليف في هذا المجال ، من الكتاب إلى المقال إلى الحوارات والمناظرات؛ ساعيًا قدر المستطاع إلى التقريب بين الفلسفة والعلم ، بل وتحقيق التكامل بينهما،من خلال الربط بين الرياضيات والمنطق ، أوردّ الرياضيات كلّها إلى المنطق .

لهذا فإن البحث في الفلسفة العلمية عند "راسل" لا يتم إلاّ من خلال العودة إلى الأصل ، وإن صحّ تعبيرنا ؛ الإرهاصات الأولى لنشأة السؤال الفلسفي العلمي عنده، ثمّ الوقوف طويلا عند محتوى هذه الفلسفة ، ولن تكون هناك مصادرة على المطلوب في الحكم على أن أبرز التوجهات الفلسفية التي ميّزت فلسفته ، هي "الفلسفة التحليلية" التي تجلّى من خلالها التقريب العميق بين العلم والفلسفة ، ثم ذِكْرُ اتجاهات في فلسفته لا لشيء سوى لتبيان الاستمرارية التي تميّز بها تفكيره ، وهي اتجاهات سعت إلى تكميل فلسفته، بعدما ساهمت كذلك في تدعيمها، من جهة،ومن جهة أخرى بيّنت التأثير الجليل الذي لعبته هذه الفلسفة في مفكرين آخرين ، وهذا المرور سيمكننا في النهاية من ولوج الحقل المعرفي لفلسفة العلم عند "راسل" ، نحاول من خلاله معالجة أسئلة على قدر كبير من الأهمية منها :

- هل استطاع "راسل" تحقيق القريب بين الفلسفة والعلم ؟

المبحث الأول : عوامل تبلور الفلسفة العلمية عند راسل

عوامل كثيرة ساعدت على بناء وتبلور الفلسفة العلمية عند "راسل" ؛ فقد قضى الرّجل أكثر من ستين (60) عاما في التأليف والكتابة، وخلال فترة حياته حاول التقريب قدر المستطاع بين الفلسفة والعلم–كما ذكرنا سابقا– إلى درجة أن فلسفته وصفت على أنّها ذات طابع علمي،وفي ظل هذا الكم الكبير من الأفكار، لم يستقر "راسل" على رأي واحد ، بل نجده يجسّد ثقافة الترميم فيها، وليس ثقافة الانقلاب التام عليها ، فهو تارة يَعْدِلُ عن هذه الفكرة ، ويُعَدِّلُ أخرى، ثمّ يأتي بجديد يستحق أن يضاف إلى تاريخ الفكر البشري يقول "زكي نجيب محمود" : " لقد لبث راسل يكتب أكثر من ستين عاما ، حاول خلالها أن يجيب على أسئلة كثيرة ، وأراد أن يحلّ مشكلات شتّى، وبديهي أن لا يستقر على رأيٍ واحد دائما إزاء نقطة معينة (...)"[1].

المطلب الأول: الإرهاصات الأولى لتشكّل الفلسفة العلمية عند راسل

يرى بعض المهتمين بفكر "راسل" أن فلسفته، ونخص بالذكر هنا اهتمامه بالعلم قد مرّت بثلاث مراحل أساسية؛حيث تجسّدت المرحلة الأولى لديه في تأثره بـ"النزعة المثالية" في "إنجلترا" في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (19)،وهي النزعة التي كان يتزعمها آن ذاك "ماكتاجارت" * John Mettagart .

---

[1] زكي نجيب محمود : برتراند راسل (نوابغ الفكر الغربي) ، دار المعارف ، مصر ، ط2 ، د س ، ص 11.

* 1866–1925 فيلسوف مثالي "هيجلي" بريطاني ، كان شديد الإعجاب بفلسفة "هيجل" ؛لأنه وجد فيه أعمق الفلاسفة نفوذا في طبيعة الوجود، فكرّس جهده ووقته وعمله لدراسة طويلة لمذهب "هيجل" ،وكانت ثمار هذه الدراسة ثلاث مؤلفات تضاف إلى تاريخ الفكر البشري : دراسات في الديالكتيك الهيجلي Dialectix Hégélien in Studies سنة 1886 أما الكتاب الثاني فهو : دراسات في الكسمولوجيا الهيجلية Cosmology Hegelian سنة 1910 ، شرح على منطق "هيجل Commentare in Hegles Logic سنة 1910 ، وقد أودع فلسفته الخاصة في كتابه (طبيعة الوجود) The Natur of Exitence والذي نشر بعد وفاته سنة 1927.أنظر(عبد الرحمان بدوي : موسوعة الفلسفة ، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1، 1984 ، ص 436)

والمرحلة الثانية هي المرحلة التي وجَّه فيها "راسل" اهتمامه نحو الرياضيات ،وتحوّل اتجاه "المنطق الرياضي" ، وهناظهر ميله الواضح نحو العلم وفلسفته؛ فقد عمل جاهدا على إثبات أن الرياضة تقوم على المنطق ، وهي امتداد له ، وفي المرحلة الثالثة حاول تطبيق المنهج الرياضي على مشكلات الفلسفة الأساسية ، وآمن أن المنطق قادر على حل المشكلاتِ التي حيّرت الفلاسفة على مرّ الزمان [1] ، واعتبارا لهذه الفكرة اهتم بالفلسفة انطلاقا من مفاهيم رياضية ، مؤكّدا على صعوبة الاستغناء عن الرياضيات وإهمالها ، وبالتالي فالرياضيات فرضت نفسها عليه كحقل كبير يجب الاشتغال عليه [2].

ولقد كان عهد "راسل" بفلسفة العلوم مبكّرا ، وهو في سن الحادي عشر (11) بدأ دراسة هندسة "إقليدس" Euclide– (ولد 300 قبل الميلاد) ؛حيث كان يدرسها على يد أخيه واعتبر هذه المرحلة من أهم الأحداث في حياته ، وأبرزها على الإطلاق من حيث مساهمتها الكبيرة في تكوينه الفلسفي العلمي، وانطلاقا منها عكف على دراسة "الهندسة" ، ولم يجد خلالها أي صعوبة ، رغم الآراء المتباينة حول الصعوبة المتعلّقة بها، وبالتحديد فيما يتعلّق بـ:"المسلمة الخامسة" التي تقول :" من نقطة خارج المستقيم لا يمكن رسم إلّا موازٍ واحد" يقول في كتابه "سيرتي الذاتية" : " وفي سن الحادية عشر بدأت دراسة هندسة "إقليدس" وكان أخي يدرِّسها لي ، وكان ذلك أهمّ حدث في حياتي ، وقد بهرني ، كأنّه الحبّ الأوّل لم أكن أتخيّل أنّ هناك في الحياة شيئا أكثر إمتاعا ، وبعد أن تعلّمت "الاستدلال الخامس" قال لي أخي إنه من الأجزاء التي يجمع الآخرون على صعوبتها ، ولكني لم أجد صعوبة تذكر" [3].

---

[1] فؤاد كامـــــل : أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1993، ص 23.

[2] Nicholas Griffin et al: Cambridge Companion to Bertrand Russell, Cambridge university press,2003, P84.

[3] برتراند راسل : سيرتي الذاتية ، تر: عبد الله عبد الحافظ وآخرون ، دار المعارف ، مصر ، د ط، د س، ص 44.

تلك كانت الجذور الأولى للفلسفة العلمية عند "راسل" فقد كانت متمركزة حول دراسة "الهندسة الإقليدية" ، وفيما بعد اتضح أنّ هذا النوع من الرياضيات صار عرضة للشكّ خاصة بعد أن اكتشف أنّ "إقليدس" قد أثبت أشياء(وكان حينها يؤمن أنّه لا يوجد شيء ثابت)، وأنه انطلق من بديهيات، وهي قضايا واضحة بذاتها لا تحتاج إلى برهان وقد لازمه الشك بخصوص المقدمات التي انطلق منها "إقليدس" ؛يقول:" كانت الرياضيات هي شغلي الأوّل، ومنبع سعادتي الرئيسي، غير أنها ككل سعادة لا تخلو من الشوائب، فلقد قيل أن "إقليدس" قد أثبت أشياء ، ثمّ أصبت بخيبة أمل كبيرة عندما عرفت أنه ابتدأ ببديهيات "[1].

وهنا سوف يظهر تأثير الفيلسوف الفرنسي المعروف "رونيه ديكارت" René Descartes (1556–1650) عليه ،(وهو يجسد النزعة الشكّية التي كان يعاني منها)؛حيث انتهى إلى ما انتهى إليه هذا الفيلسوف فيما يخص قوانين الحركة ؛ إذ اعتقد اعتقادا واثقا أنّ حركة الأجسام الحية تنظمها قوانين (الديناميكا) ، ومنه فحرية الإرادة هي وهم، وفي الوقت نفسه سلّم أن الشعور بالوعي عند الإنسان حقيقة قائمة لا شك فيها [2].

هذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على المرحلة الصعبة التي كان يعيشها "راسل" وهو في سن صغير تقريبا ، حيث انتهج منهج الشك ، ويجدر الإشارة إلى أن الشكّ الذي أخذ به ، ليس مجرد شك من أجل الشك ، بل هو شك منهجي أحاط بجميع أنواع المعرفة التي تحصّل عليها والتي يسعى للوصول إليها ، وقبل الأخذ بها كان لابد أن يخضعها للاختبار ، أي للبراهين المتماسكة ، والتي من شأنها أن تؤدي في نهايتها إلى تحقيق نتائج سليمة ، ومنه الوصول إلى اليقين.

[1] برتراند راسل : المصدر السابق : ص 44.

[2] مصطفى غالب : برتراند راسل (في سبيل موسوعة فلسفية) ، منشورات دار مكتبة الهلال ، بيروت ، د ط 1991، ص17.

إذن في هذه الفترة بالذات كان "راسل" يعيش مرحلة كبيرة من الشك في كل شيء وامتد هذا الشك إلى "مسائل العقيدة" *،خاصّة فيما يخص (وجود الله، وخلود الروح ، والحياة بعد الموت) ، وهذه أفكار احتفظ بها لنفسه ، إذ لم يكن يملك الجرأة للإفصاح عنها لعدّة عوامل وأسباب ؛ لعلّ أهمها : الخوف من الاضطهاد سواء من المجتمع أو من الأهل لا سيما وأن أهله قضوا فترة طويلة في صرف الفتى عن الفلسفة ، وتعليمه عقائد الأسرة المتوارثة عن الأجداد والمحافظة على الدين [1] .

هذه الشكوك التي راودت "راسل" كانت من أهم العوامل التي رسّخت عنده عقيدة الاهتمام بالعلم لأنه السبيل الوحيد الذي يمكن أن تتبدّد عنده كل الشكوك، خاصة الرياضيات و المنطق رغم أن بدايته مع هذه العلوم هي الأخرى كانت شكية.

المطلب الثاني : "كمبريدج" وبداية الثورة على الفلسفات المثالية:

ويضيف "زكي نجيب محمود" أن "برتراند راسل" كان ذكيّا في إخفاء شكوكه حول اللاّهوت والرياضيات،حيث كان يستعمل الرّمز في حديثه عن هذه القضايا ولم يفصح لأحد عن مكنونات هذه الرموز ، فمثلا حين يتحدث عن الدين يطلق عليه " الميول التي ورثها عن تربية أجداده" ، وظلّ يكتم شكوكه وراء رموزه حتى دخل جامعة "كمبريدج" University of Cambridge في أكتوبر 1890[2].

إذن كانت تقريبا كل بدايات "راسل" مع الاهتمام بالعلم ، بدايات فيها كثير من الحذر وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على عمق التفكير،الذي كان يتميز به هذا الفيلسوف فهو لا يقبل الفكرة ولا يأخذ بها عشوائيا ، لا يقبلها كما هي إلا ويكون قد عرضها على الاختبار.

* سنعود للحديث عن هذه النقطة بشيء من التفصيل في الفصل الثاني .

[1] زكي نجيب محمود : من برتي إلى برتراند راسل ، مجلة الفكر المعاصر ، العدد 34، ديسمبر 1967، ص 8.

[2] المرجع نفسه : ص8.

وفي "كمبريدج" ستحدث لـ"راسل" كثير من المتغيرات الفكرية ، وتتبلور فلسفتُه العلميّة في شكلها الكبير ، وهناك سيلتقي بفيلسوف ورياضي كبير هو "ألفريد نورث هوايتهد" A.N. Whitehead * ، الذي ساهم في التكوين العلمي والفلسفي لـ "راسل" .

وفي الحقيقة أن "هوايتهد" هو من أعجب بـ"راسل" ، حيث أطّلع على أوراق إجابته في المنحة الدراسيّة (ولقد كان "هوايتهد" هو المشرف عليها)،وما لبث أن أوصى به عددا من الطلاّب والموهوبين[1] ؛يقول "راسل" :"ومنذ لحظة وصولي إلى "كمبردج" في بداية أكتوبر 1890 ، سار كل شيء على ما يرام (...) لكني اكتشفت فيما بعد أن "هوايتهد" الذي تولّى امتحانات المنح ، قد طلب من كلّ الناس السؤال عن "سانجر" وعنّي (...) "[2].

وليس من الخطأ القول أن اهتمام "هوايتهد" بـ"راسل" فيه كثير من الإعجاب ليس بشخصه ، فهو لم يكن قد رآه بعد ؛ بل بفكره ، وطريقة إجابته، وتحليله لمعطيات الأسئلة التي ذكرت في الامتحان ، فقد وجده شخصية فذّة عميقة التفكير ، قويّة البرهان يحق لها فعلا الدخول إلى "كمبردج"، ودراسة الرياضيات التي كانت تشكل في تلك الفترة العلم اليقيني الذي يكاد يبتعد تماما عن كل شك ، والذي يمكن للإنسان أن يلتمس فيه الحلول لكثير من المشكلات التي تواجهه داخل مجتمعه، وفي صراعه مع الطبيعة .

* 1861- 1947 يقال أنّه فيلسوف أمريكي من أصل إنجليزي ، عمل مدرسا محاضرا للرياضيات في "كمبردج" حيث درس هناك "راسل" الذي كان أبرز تلامذته ، كما درّس الرياضيات التطبيقية والميكانيكا في جامعة "لندن" ، وأهم ما كتبه مؤلف ضخم بعنوان :"مبادئ الرياضيات" ، بالتعاون مع " راسل" بين سنوات (1910-1913)؛ والذي اعتبره المهتمون قمة النشاط الإبداعي العلمي لهذا الفيلسوف ، وله كذلك " مبادئ المعرفة" سنة 1917 و"مفهوم الطبيعة" سنة 1920 ، وهي كتب تدل على الاهتمام الكبير لهذا الفيلسوف بالفلسفة .أنظر (جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة (الفلاسفة-المناطقة-المتكلمون-اللاهوتيون-المتصوفون)، دار الطليعة ، بيروت ، ط3 ، 2006، ص 731)

[1] أي سي جرايلينج : برتراندراسل (مقدمة قصيرة جدا) ، تـر: إيمان جمال الدين الفرماوي ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة مصر، ط1 ، ص 13.

[2] برتراند راسل : المصدر السابق ، ص 77.

وهنا وجد "راسل" كثيرا من الحرية الفكرية ، فكلّما طرح فكرة كانت تراوده وجد من يهتم بها ، من خلال دراستها وتحليلها[1]؛ ذلك ما كان يبحث عنه دائما وأبدا في حياته فالفتى الذي كان شغوفا بالمعرفة بصفة عامة ، والمعرفة العلمية خاصة؛ تشكّل لديه رصيد كبير من الأفكار بين القبول والشك والإعراض ، أفكار تنتظر الخروج من حيّز الكتمان إلى حيّز التصريح ، ذات تبحث وتفكر وتثير مشكلات فلسفية كثيرة ، ووجد من يساعد على طرح أفكارها بكل حريّة.

وفي الجامعة تعرف "راسل" على كثير من الأصدقاء الذين تحدث عنهم في مذكراته ومن بينهم نجد "ماكتاجارت" الذي كان رئيسا لاتحاد الطلبة ، واعتبر هذا الفيلسوف ممثّلا بحقٍّ لفلسفة "هيجل" Friedrich Hegel (1770-1831) في الجامعة وقد أثر بشكل مباشر على أفكار "راسل" فصار من أتباع "الهيجيلية" ،ومن نتائج ذلك التأثر هو إيمان "راسل" بوجود الله ، وأن كل البراهين التي أقيمت على وجوده هي صحيحة ، ولكن ما لبث في سنة 1898، أن انقلب على هذه الفلسفة وتخلّى عنها [2].

وصارت مهمته بعد هذا الانقلاب ؛هي تقويض أهم الأسس التي تقوم عليها الفلسفات المثالية وهي " الواحدية" ، وتبيان أن العالم متعدد يحتاج في معرفته إلى مشاهدات وتجارب وذلك هو جوهر الثورة الفلسفية التي قام بها "راسل" [3]، ثورة كان هدفها تقويض دعائم الفلسفات المثالية ، التي كانت تؤمن بالوجود الميتافيزقي ، القائم على فكرة "الواحدية" والتي رفضها "راسل" فيما بعد ، بل اعتبر القضايا الميتافيزيقية قضايا لا معنى لها ، تبحث في أمور غير مقنعة ، لأنها بكل بساطة لا يمكن البرهان عليها ، فهي مصدر كل تخلف يعيشه الإنسان في حياته.

---

[1] زكي نجيب محمود : من برتي إلى برتراندراسل ، المرجع السابق ، ص9.

[2] برتراند راسل : المصدر السابق ، ص 86 ، 87 .

[3] زكي نجيب محمود : المرجع نفسه ، ص 9 ،10.

ومن الشّخصيات الفلسفية البارزة، التي ساعدت "راسل" في تجاوز المثالية ، والثورة عليها نجد: الفيلسوف البريطاني "جورج إدوارد مور"George Edward Moore * الذي استوعب المثالية جيّدا، وقرأ للفلاسفة الألمان خاصة الفيلسوفين المشهورين"هيجل" و"إيمانويل كانط" Kant Emmanuel (1724-1804)، وأكد "راسل" أنّه في سنة 1898 ، قام بهذا التمرّد رفقة "مور" الذي قاد الطريق، وكان "راسل" يتبع خطاه عن كثب؛ وبالتالي هو يدين لـــ"مور" على مواقفه الجديدة حول الفلسفة ، وهي التي طوّرت فيما بعد "الفلسفة التحليلة" [1].

ويذكر"زكي نجيب محمود" في كتابه "برتراند راسل" هذه المقولة التي تبيّن فضل "جورج إدوارد مور" على "راسل"، وقد نقلها عنه أي عن "راسل" :" (...) كما رفَضْت كذلك الأسس المنطقية للمذهب الواحدي، وكرهت النظرة الذاتية التي ينطوي عليها الحس النقدي في فلسفة "كانط" ، ولولا تأثير "جورج مور" في تشكيل وجهة نظري؛ لفعلت هذه العوامل فعلتها بخطوات أبطأ ، فقد اجتاز "جورج مور" في حياته الفلسفية نفس المرحلة "الهيجلية" التي اجتزتها لكنّها كانت أقصر زمنًا منها عنّي ، فكان هو الإمام الرائد في الثورة " [2] .

هذه المقولة نقلها" زكي نجيب محمود" عن "راسل" يتبين من خلالها الدور الكبير الذي لعبه " جور إدوارد مور" في توجيه "راسل" نحو "الفلسفة الواقعية" ، المهتمة بالعلم وبالدراسات التجريبية ، وبالتالي وتعزيز شكوكه في الفلسفات المثالية ، التي تقوم على الذاتية ، مما يقتل الموضوعية ، والنقد داخلها.

---

* 1873-1985 ، فيلسوف انجليزي بدأ مثاليا ، ثم ثار ضدها ، وبعدها تبنى مذهب تعددي تجريبي ، كان له تأثير كبير في "برتراند راسل" ؛ خاصة في معارضة هذا الأخير لذاتية المثاليين ، ولمذهب "الواحدية" ، وفي كتابه "مبادئ الأخلاق " 1903 ثار على ذاتية المثاليين ؛ خاصة في تحديدهم لمفهوم القيمة ، ودافع على الطابع الموضوعي للخير والشر ومن مؤلفاته كذلك نجد: "دحض المثالية" (1903) ، دفاع عن الحس المشترك (1925) أنظر :(جورج طرابيشي : المرجع السابق،ص 644).

[1] Ibid ,p108 ,109.

[2] زكي نجيب محمود : برتراند راسل (نوابغ الفكر الغربي) ، المرجع السابق ، ص 22.

المطلب الثالث: فلسفة الرياضة والمنطق :

شكل مؤتمر "باريس" الذي حضره مع الفيلسوف "هوايتهد" نقطة تحوّلٍ في حياة "راسل" الفكرية باعترافه هو، حيث التقى هناك بـ"بيانو" * Peano؛ الذي أطلق عليه "عالم الرياضيات الكبير" ؛لأنه أعجب بالبراهين التي كان يقدّمها، وذلك في ردّه على الأسئلة التي كانت تطرح وفي مناقشته مع المحاورين ؛ فقد وجد فيها ،ما يثير اهتمامه في سعيه الدائم إلى جعل الفلسفة ترتد إلى الرياضيات ، والرياضيات تعود في أصلها إلى المنطق ،وتماسك البراهين من أجل تحقيق هذا الهدف؛ يقول:" كان المؤتمر نقطة تحوّلٍ في حياتي الثقافية؛لأني قابلت "بيانو" عالم الرياضيات الكبير، وكنت أعرفه بالاسم من قبل ، وقرأت له بعض الأعمال، ولم اهتم بالإحاطة بها، ولكن عندما حضرت المؤتمر، وتابعت مناقشاته، لاحظت أنها أكثر ميلا للدقة (...) وأنّه إذا دخل في مناقشة مع الغير؛ كانت حججه هي الأقوى ، وبانقضاء اليومين تبيّن لي أن هذا لا بد أن يكون راجعا إلى منطقه الرياضي" [1]، ثم كرّس "راسل" بعد ذلك وقته وجهده لإنجاز مشروع وهو إثبات أن:" كل الرياضيات تتبع من مقدمات منطقية ، ولا تستخدم إلا المفاهيم القابلة للشرح بالحدود المنطقية " ، وقد طلب من "هوايتهد" مشاركته المشروع ، وهو كتاب "أصول الرياضيات، ومنذ ذلك الحين وحتى عام 1910 كرّس وقته وجهده لإنتاج هذا العمل الضخم ، وقد تكفّل "راسل" بالجوانب الفلسفية للكتاب وقدم "هوايتهد" جهدا بارزا في استخدام مجموعات من الرموز وأسهم بقدر كبيرا في استنباط البراهين [2].

---

* 1858-1932 ، منطقي ورياضي إيطالي ، قام باستحداث نسق مبتكر من العلامات ، تتيح إمكانية عرض مبادئ المنطق ونتائج مختلف فروع الرياضيات ، يقال لها اللغة المعقدة ، وقد تأثر به "برتراند راسل" في مذهبه المنطق الرمزي في مبادئ الرياضيات ، له مؤلف مشترك مع "راسل" بعنوان "أصول الرياضيات" .أنظر (جورج طرابيشي : المرجع السابق ص 219)

[1] برتراند راسل : المصدر السابق : ص 225 ، 226.

[2] أي سي جرايلينج : المرجع السابق ، ص 18.

وأمّا عن أهداف هذا الكتاب فقد بيناها سابقا ، وعنها يقول "راسل" في كتابه : " أصول الرياضيات" :" يحقق هذا الكتاب غرضين ؛ الأوّل هو الدليل على أن جميع الرّياضة البحتة تنفرد بالبحث في التصورات، التي يمكن تعريفها بعبارات تشتمل على عدد قليل جدّا من المبادئ المنطقية الأساسية (...) ، أما الغرض الثاني من هذا الكتاب فهو تفسير التصورات الأساسية التي تسلّم بها الرّياضة على أنها لا تقبل التعريف وهذا عمل فلسفي بحت "[1].

"وقد قصد بكتابه "أصول الرياضيات" أن يكون الجزء الأوّل الذي يتلوه جزء ثانٍ أن يشتمل على عرض استنباطي للنتائج ، ولكن هذه المهمّة نفذت في كتاب مستقل ألّفه بالتعاون مع "ألفرد نورث وايتهد" وبدءا بعدها في تأليف كتاب "أسس الرياضيات" في عام1900 ، وأتماه بعد عشرسنوات في ثلاث أجزاء (...) إن كتاب أسس الرياضيات من الكتب الفاصلة في تاريخ الرياضيات والمنطق معا "[2*].

فهذا الكتاب يعتبر عصارة زمن من التأثر، وخليط من العوامل مرّت في حقبة زمنية لم تتجاوز سن الشباب، تؤكد أن "راسل" في نهاية المطاف كان حصيلة مجموعة من المتغيرات المحيطة به ؛ بدءا من أسرته إلى مجتمعه إلى تطور الفكر الإنساني بأكمله وقد عانى "راسل" طويلا عند كتابة هذا الكتاب، إلى أن أتمّه بعد فترة طويلة قضاها في البحث والتدقيق، وفي السطور القادمة سوف يدرك القارئ حجم هذه المعاناة وقيمة كتاب "أصول الرياضيات" وستتعدى هذه القيمة إلى ما بعد "راسل" .

---

[1] برتراند راسل : أصول الرياضيات ، ج1، تر: محمد مرسي أحمد، و أحمد فؤاد الأهواني ، دار المعارف ، مصر ، ط2 د س، ص21.

[2] صدقي حطاب : برتراند راسل (الفيلسوف الذي سعى إلى الارتباط بمشاكل عصره)، مجلة عالم الفكر، وزارة الإرشاد والأنباء ، المجلد الأول ، العدد الأول ، الكويت، 1970، ص 267.

* في الحقيقة أن صدقي حطّاب لعب دور المترجم في هذا المقال ، المقال نشر في نعي "راسل" في صحيفة التايمز البريطانية British newspaper The Times التي تأسست في لندن عام 1785،عدد فيفري 1970، وكان العنوان هو: Eurl Russel ,o.m.fir.s,Philosopher who Sougt Involvement With Problem Of The Age

يقول :" (...) كان لوطأة الشقاء الذي كنت أشعر به، وللإرهاق الشديد الذي امتد بي من 1910 إلى 1920 ، أثرهما الهائل عليّ ، وكنت أتساءل في تلك الفترة ترى هل يقدر لي أن أخرج من السرداب الطويل المظلم الذي يبدو أنّي تورطت فيه ؟ كنت أقف على القنطرة الصغيرة في "كننجتون" Kensington بالقرب من "أكسفورد" Oxford أشاهد القطارات وهي تمر تباعا، وأعتزم أن ألقي بنفسي تحت أحدها ، وعندما يأتي الغد ، كنت أجد نفسي وقد عاودني الأمل في أن أنتهي من أصول الرياضيات في يوم ما "[1].

إن القارئ لهذه السطور ، لا يستطيع أن يتصور حجم المعاناة ، ومما لا شكّ فيه سيدرك أهمية كتاب "أصول الرياضيات" في الفكر الإنساني عامة ، وفي فكر "راسل" خاصة نظرا للزمن الهائل الذي قضاه في كتابته، والمتغيرات التي أصابته ، وغرائب الأمور التي كانت تراوده من حين إلى حين، حتى عندما انتهى منه مازال يعاني .

يضيف قائلا :" وكانت الصعاب التي تعترضني تبدو لي فوق ذلك وكأنها تحدّيات لا بد من قهرها ، وهكذا ثابرت على العمل حتى فرغت من الكتاب آخر الأمر ، ولكن ذهني لم يشف تماما من الإجهاد المضني،الذي تعرضت له، ومنذ ذلك الوقت ضعفت قدرتي عما كانت عليه من قبل في معالجة المجردات الصعبة (...)"[2].

وبعد ذلك اتسع نشاط "راسل" العلمي والفلسفي ، وكرّس جهده ووقته في دراسة المنطق والرياضيات والفلسفة، كذلك واتجه نحو قضايا أخلاقية وسياسية بعدها ، وفي الحقيقة أن كل العوامل التي ذكرناها سابقا؛ كان لها الأثر البارز في بلورة الفلسفة العلمية عند "راسل" وكغيره من الفلاسفة لا بد أن تكون هناك مؤثرات ساهمت في تكوينه بالإضافة إلى عوامل أخرى لا يسعنا المقام لبسطها .

[1] برتراند راسل : سيرتي الذاتية ، المصدر السابق ، ص 238.

[2] المصدر نفسه ، ص 238.

وبهذه الصورة تبلورت فلسفة "برتراندراسل" في نسقها الذي يعبّرعن شخصية متفرّدة في العلم والفلسفة ، وهي الفكرة التي سنتحدث عنها بالتفصيل في المبحث التالي ؛ والذي خصصناه لنظرية المعرفة عنده.

المبحث الثاني : نظرية المعرفة عند برتراند راسل

نظرية المعرفة عند "راسل" تشكل فلسفته التي كانت ثمرة صراع فكري طويل ، وتأثّرٍ بأفكار سابقة عليه، بل ومعاصرة له ، وهي تثبت في كل لحظة أنّ هذا الفيلسوف ظلّ طوال حياته ، يعيش لحظات البحث الفلسفي لحظة بلحظة، يطوّر أفكاره حسب الحاجة ممّا يستحق أن يضاف إلى تاريخ الفكر الفلسفي .

المطلب الأول :الفلسفة بنظرة علميّـــة

عندما سئل "راسل" عن الفرق بين العلم والفلسفة ، أجاب:" تستطيع أن تقول بصفة عامة أن العلم يدور حول ما نعرفه ، أمّا الفلسفة فتدور حول ما لا نعرفه ، إنّه تعريف بسيط ولذا تجد أنّ المسائل تنتقل على الدوام من مجال الفلسفة إلى مجال العلم كلّما تقدمت المعرفة "[1] .

هذا الانتقال من الفلسفة إلى العلم ، جعل هذا الفيلسوف في كثير من كتاباته الفلسفية يتوجه نحو المسائل المتعلقة بالفلسفة توجّها علميًّا ، أو بتعبير آخر كان ينظر إلى الفلسفة نظرة علمية ، متّخذا من التحليل منهجا له ، وهذه النظرة العلمية للفلسفة هي امتداد للفلسفة "التجريبية الانجليزية" ، التي كانت ذات طابع تجريبيي ، تميل إلى العلم أكثر من الفلسفة وتشكّل ثورة على الفلسفات المثالية .

[1] برتراند راسل : محاورات برتراند راسل ، تر : محمد عبد الله الشفقي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، مصر د ط ، 1961 ص 7.

وفي السياق نفسه تذكر "يمنى طريف الخولي" في كتابها " فلسفة العلم في القرن العشرين" مايلي :" في مقال لـ"برتراند راسل" بعنوان "فلسفة القرن العشرين " بكتابه "مقالات شكيّة" سنة 1928 ؛ يقول أنّه في العام 1900 بدأت الثورة على المثالية الألمانية بعملاقيها "كانط" و"هيجل" ، والتي مثلت قوّة طاغية إبّان القرن التاسع عشر (19) موازية لفلسفة العلم وللفلسفة العلمية ، ومحتلة أراضٍ على حسابه "[1].

وعليه سوف نجد "راسل" يختلف عن سابقيه في تناول موضوع المعرفة ، فمنذ"كانط" بحث الفلاسفة عن السؤال كيف نعرف؟ ومن خلاله سوف ينتقلون إلى سؤال آخر هو : ماذا نعرف ؟ إلاّ أن "راسل" رأى العكس معتبرا أن: العلم بكيف نعرف ؟ ماهو إلا جزء ضئيل من علم بماذا نعرف؟ لأنّ العقل لم يعد له تلك المكانة الكبرى التي عرفها في الفلسفة التقليدية ، مما جعل المكان والزمان والمادة والقوة ، تختفي من مسرح العلم المعاصر، لتدخل مكانها مصطلحات جديدة [2]، وهذا ما دفع به إلى التأكيد مرة أخرى على دور الشك والاحتمال ، في الوصول إلى المعرفة اليقينية ، وهو المنهج الذي اعتمده منذ الطفولة ، وحاول "راسل" البرهنة على هذه الفكرة في عديد من كتبه ، ومن بين البراهين التي قدّمها أنّ الإنسان في حياته اليومية يصادف كثيرا من الأشياء والمواضيع التي يعتبرها حقيقيةً ، ولكن بعد أن يبحث فيها ويعرضها على التمحيص والتدقيق ، يجد فيها كثيرا من الاضطراب والالتباس ، بل ومليئةً بالمتناقضات وهو ما يجعل الإنسان يتساءل : هل يمكن الوصول إلى معرفة يقينية لا يشك فيها رجل عاقل ؟[3]

---

[1] يمنى طريف الخولي : فلسفة العلم في القرن العشرين ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، د ط 2000، ص 230 ، 231.

[2] محمد محمد قاسم : الفكر الفلسفي المعاصر (رؤية علمية) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط 1 ، 2001 ص 123.

[3] Bertrand Russell : The problèms Of Philosophy , Home University Library Of Modern Knowledge, London,1974 ,p9-10.

يقول :" أستطيع أن أقسم تطوّري الفلسفي إلى مراحل مختلفة ، وفقا لما عنيت به من مشاكل ، وممّن تأثرت بهم من مفكرين. بيد أن اهتمامي كان منصبّا على مشكلةٍ واحدةٍ فقد كان اهتمامي على طول الخطِّ ؛ أن اكتشف إلى أيِّ حدٍّ يجوز لنا أن نقول أننا نعرف وبأي درجة من اليقين أو الشك؟"[1] ،وبهذا يكون اتخذ منهجا شكّيا "ديكارتيا" (كما سبق وذكرنا)ويمكننا أن نضرب مثلا في هذا الصدد؛ حيث أنّ هذا الفيلسوف وصل إلى اليقين الذي آمن به في الرياضيات والمنطق؛ من خلال شكّه في مبادئ "الهندسة الإقليدية" يقول :" هذا التسلسل الفكري خامرني أوّل ما خامرني، وأنا في السادسة عشرة ، فلما علمت أن "ديكارت" قد جعله أساس فلسفته ، شعرت بالغبطة والسرور "[2].

وأكد في سياق حديثه عن "نظرية المعرفة" ، ونظرته العلمية للفلسفة أنّ هدف الفلسفة هو فهم العالم الذي يحيط بنا ، وفي إطاره لا يمكن أن نكون على معرفة مباشرة بالموضوعات الخارجية ، فالمنضدة الموجود أمام الإنسان لا يستطيع الإنسان معرفتها معرفة مباشرة :" إن المنضدة الحقيقية –إن كانت هناك فعلا منضدة حقيقية– ليست هي التي نشعر بها مباشرة من خلال البصر أو اللمس أو السمع ، فالمنضدة الحقيقية غير معروفة لنا مباشرة ، بل يكون الاستدلال عليها من خلال تلك المعرفة المباشرة " [3] وبهذا يشير "راسل" إلى قيمة المعرفة الحسية ، من خلال أن معطياتنا الحسية هي: كل ما نعرفه مباشرة عن المنضدة ، ولا يجب أن نخلط بين المنضدة والمعطيات الحسية ، والعلاقة بينهما هي علاقة السببية؛ التي تجعل المعرفة بالمنضدة ليست مباشرة ، بل هي معرفة بالوصف إذ أن الإنسان في هذه الحالة، يقوم بوصف المنضدة عن طريق المعطيات الحسية [4].

---

[1] برتراند راسل : فلسفتي كيف تطورت ، تر: عبد الرشيد الصادق محمودي ، مطبعة لجنة البيان العربي ، مصر، ط1 1960، ص 3.

[2] برتراند راسل : العقل والمادة ، تر: أحمد إبراهيم الشريف ، مكتبة المكتبي ، القاهرة ، د ط، 1975، ص 36.

[3] Ibid, p 16-17.

[4] محمد مهران : فلسفة برتراند راسل ، دار المعارف ، مصر ، د ط، دس ، ص 40.

وعليه فالمعرفة المباشرة هي المعرفة الحسيّة، وهي انطباع المعطيات الحسية على أعضاء الحس، وهكذا يكون الموضوع الخارجي على صلة مباشرة بالذات العارفة أما التركيب بين تلك المعطيات، فهو استدلال مباشر على وجود الشيء الخارجي ويكون هذا الاستدلال عن طريق الوصف .

انطلاقا من المعطيات السابقة اتجه "راسل" إلى الاعتقاد أن العقل والمادة تركيبات منطقية ، مستمدة من العناصر الجزئية ؛ هذه الأخيرة عبارة عن معطيات حسية ،والمعطيات الحسية عنده لا هي عقلية ولا هي مادية ؛ إنما تدخل في تركيب العقول ، وذلك من خلال فكرة أن معطيات الحس تترابط تبعا لقوانين الفيزياء، وفي هذه الحالة تكوِّنُ الأشياء المادية وعندما تترابط وفق قوانين علم النفس تُشَكِّلُ تكوين العقول ، وأطلق على هذه الفكرة اسم :" الواحدية المحايدة " [1]، والتي أكد من خلالها قوله :" لقد أكّدت خلال هذه المحاضرات أن معطيات علم النفس لا تختلف عن معطيات الفيزياء ، كما أكّدت أنّ الأحاسيس هي معطيات خاصة بعلم النفس والفيزياء على حد سواء"[2].

والحقيقة أن هدف الفلسفة العلمية عند "راسل" هو محاولات فهم العالم ، واستعمل في ذلك المنهج التحليلي ، الذي كان نتاج "الفلسفة التحليلة" ككل ، واختص في هذا السياق بما يسمى "الذرية المنطقية ".

[1] فؤاد كامل : المرجع السابق ، ص 29.

[2] برتراند راسل : تحليل العقل ، تر: ناصيف عبد الكريم ، دار التكوين للتأليف والطباعة والترجمة والنشر ، سوريا ، ط1 2016 ، ص304.

المطلب الثاني: فلسفة الذرية المنطقية

عند سئِل "راسل" : أي نوع من الفلاسفة أنت ؟ أجاب :" إن اللافتة الوحيدة التي وضعتها لنفسي هي أنني ذرّيٌّ منطقي "[1] ، وعندما سئِل عن معنى "الذرية المنطقية" ؟ أجاب :" معناه في نظري أنّ التحليل هو: الوسيلة التي توصلك إلى طبيعة الموضوع الذي تبحث فيه ، وأنك تستطيع أن تمضي في تحليلك، إلى أن تصل إلى الأشياء التي لا يمكن أن تقبل تحليلا ، وستكون هذه الأشياء هي "الذرات المنطقية" ، وأنا أسمّيها بالذرات المنطقية ؛ لأنّها ليست جزئيات صغيرة من مادة ، وإنما هي أفكار تبنى عليها الأشياء " [2].

إن هذه الأسئلة والأجوبة ، تثبت أهمية "الذرية المنطقية" في التفكير الفلسفي العلمي عند "راسل" ممّا جعلنا نعتقد أن "نظرية الذرية المنطقية" تشكّل عصب الفلسفة العلمية عنده ، وهي التي تؤكد على أهمية التحليل في الوصول إلى بناء هذه النظرية ، وهو التحليل الذي تظهر خلاله "الذرات المنطقية" ، وعلى عكس المذاهب السابقة لم تكن الذرّات عنده جزئيات صغيرة ناتجة عن تحلّل المادة وتفككها، بل اعتبرها هي الأفكار الأساسية والهامّة التي تبنى عليها.

لقد استعمل "راسل" منهج التحليل في كثير من القضايا التي عالجها ؛ إلى درجة أنه وصف رائد "الفلسفة التحليلة المعاصرة "، منذ تأسيسها على يد "مور" ، لكن المشكلة الأساسية التي تواجهنا ونحن بصدد دراسة هذا المنهج عنده ؛ هي أنّه ترك هذا المنهج دون تحديد دقيق له ، أو وصف لجوانبه وأبعاده ، أو توضيح كاف لغاياته ، ورغم هذا إلا أنّه قدم في بعض من مؤلفاته شيئا عن هذا المنهج [3] .

---

[1] برتراند راسل : محاورات برتراندراسل ، مصدر سبق ذكره ، ص11.

[2] المصدر نفسه ، ص 11.

[3] محمد مهران : المرجع السابق ، ص 317.

ويرجع اهتمام "راسل" بالتحليل لأسباب عديدة ذكرها في مؤلفاته ، من بينها القصور الذي وجده في "الفلسفات المثالية" خاصة فلسفة "هيجل" و "كانط" ، حيث أكّد –كما ذكرنا سابقا– عدم جدوى هذه الفلسفات في الوصول إلى اليقين ، وانتهى إلى أنّ المشكلات الفلسفية لا تتقدم إلاّ في إطار "منهج التحليل" ، حتّى وإن ظهرت جملة من الاعتراضات كان ردّ "راسل" عليها أن أحدا منهم لم يفهم نظريته [1]، وأضاف كذلك أنّ العلوم التجريبية أثبتت نتائجها الدقة واليقين ، وكانت متطورة إلى درجة كبيرة ، والسرّ في ذلك هو استخدامها المنهج التجريبي القائم على التحليل، والذي من خلاله استطاعت أن تحرز التقدم في أقل من ثلاثة قرون ، من خلال التطور الحاصل في الفيزياء الحديثة التي أخذت بالتحليل [2].

إذن كانت البداية هي : تبيان "راسل" للاعتراض الذي واجه "منهج التحليل" من طرف كثير من الفلاسفة ، الذي اتجهوا إلى القول أن هذا المنهج لا يمثل الحقيقة ، انطلاقا من الفكرة القائلة الكل مكون من أجزاء مترابطة ، مرتبة بطريقة مناسبة ، وعليه يستحيل أن يذكر أي جزء بمفرده ، وإذا تم عزل أي جزء عن الكل ؛ يتغير معناه ، ويفقد ماهيته[3] وهذه الفكرة يرفضها "راسل" ؛ فقد كان هدفه هو الوصول إلى ذرّات منطقية أو لغوية بسيطة ومعنى هذا أنه لا يعزل الذرّات عن المركب التام ، ولو فعل ذلك لتحولت عملية التحليل إلى تقسيم ، أي تفريق الأجزاء عن بعضها ، وعليه فالتحليل لا يكون له وجود إلا في إطار المركب العام سواء كان هذا المركب مادّيا أم فكريا معتمدا على الاتصال المباشر بالموضوعات [4].

---

[1] برتراند راسل : فلسفتي كيف تطورت ، المصدر السابق ، ص 8.

[2] ماهر عبد القادر محمد علي : المرجع السابق ، ص 106 ، 107.

[3] برتراند راسل : ما وراء المعنى والحقيقة ، تر: محمد قدري عمارة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط1، 2005 ص 311.

[4] جمال حمود : المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة (برتراند راسل أنموذجا) ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 2011، ص 46.

وللتحليل عند"راسل" صبغة منطقية ، لأنه يستخدم لغة المنطق ، ويتخذ من اللّغة موضوعا له ، فقد أكّد على دور اللغة إذ يقول :" هناك واقعتان تقودنا إليهما اللغة في عملية التحليل ، واحدة تعتبر الجمل والكلمات حقائق محسوسة ، والأخرى تعتبر الصور المختلفة للكلمات ، كما يتم في النحو والصرف ، فالطريقة الأولى سليمة تماما ، أما الثانية رغم أن لها استعمالاتها إلاّ شديدة الخطورة ، ومصدر للخطأ" [1].

إذن التحليل عند "راسل" :"عملية ذهنية تعمل على ردّ المركبات اللّغوية إلى عناصرها البسيطة ، وبالنتيجة ردّ المركبات الشيئية التي تدل عليها تلك المركبات اللغوية إلى الأشياء البسيطة، التي تدلّ عليها الرموز البسيطة في اللغة " [2] .

ومنه فالتحليل المنطقي الذي تقوم عليه الذرية المنطقية ، يتخذ من اللغة موضوعا رئيسيا له لاعتبارات (سبق وذكرنا منها الشيء القليل) .

والتحليل يفضي إلى نهايات أي ينتهي إلى نتائج ، هي ذرّات منطقية تمثلها الوقائع الذريّة ، كما تعبّر عنها اللغة ، باعتبار الكلمات حقائق محسوسة ، واللّغة وحدها هي القادرة على الفهم الصحيح للواقع ، وفي استعمال الفلسفة للّغة ، واهتمامها بها يمكنها أن تفهم العالم الذي يحيط بنا فهما صحيحا ، وهنا يؤكد "راسل" على دور اللغة في الفلسفة خاصة وفي حياة الإنسان فهي تساعده على فهم واقعه ، ومنه القدرة على التكيّف مع مختلف الحوادث التي تواجهه، وهذه نقطة جد ايجابية في اللّغة ، كما أنّ اللغة وفق هذا المنظور هي أداة رئيسية تعمل على تحقيق التكامل بين العلم والفلسفة ، أو بالأحرى السعي إلى التقريب بين العلم والفلسفة يكون عن طريق اللغة ، كواحدة من الوسائل التي استعملها "راسل" لتحقيق هذا الهدف ، وهو هدف رئيسي في فلسفته كما ذكرنا سابقا[3].

---

[1] برتراند راسل : ما وراء المعنى والحقيقة ، المصدر السابق ، ص312.

[2] جمال حمود :مرجع سبق ذكره، ص 48.

[3] المرجع نفسه : ص 48.

وفي سياق تطبيق "راسل" لمنهجه ؛ نجده يعتمد على ما يسمى " نصل أوكام" Ocamms Razor * وفائدة هذا النّصل تكمن في أنّه: يأخذ بالتحليل مباشرة نحو الهدف المقصود ، مقتصرا على ما هو ضروري فقط لتفسير وبناء اللغة ، ويبدو أنّ هذا ما فهمه "راسل" من كلمة ضرورة ، التي يربطها بالهدف العام من فلسفته ؛ وهو فهم العالم على أفضل وجه ممكن ، وهذا الفهم يوجد في الحد الأدنى من الكائنات الذي يعكس الصورة الحقيقية للواقع[1] ؛ إذن هو مبدأ اختزالي اقتصادي في الفكر، يوحي بوجوب الامتناع عن تعديد الكائنات الحية أكثر مما تدعو إليه الضرورة ، وهذا ما أدّى إلى إلغاء الافتراض القائل بوجود جوهر الشيء ، ويمكننا الخروج من هذه الفلسفة، متى نظرنا إلى الشيء على أنّه مساوٍ لمجموع مظاهره ، وهكذا ابتعد "راسل" عن فكرة الجوهر والمادة وما يشبههما [2]. كل هذا سينعكس في نهايته على حديثه عن "الذرية المنطقية" التي أكّد انطلاقا من تطبيق "المنهج التحليلي" أنّه يهدف للوصول إلى ذرّات ، هذه الأخيرة توصف أنّهامنطقية، وليست فيزيائية أو بتعبيره هو :" (...) إذن النقطة الأساسية هي أن: الذرّة التي أبغي الوصول إليها،هي ذرة التحليل المنطقي، وليست ذرة التحليل الفيزيائي "[3] .

* نسبة إلى "وليام اوكام" Guillaume d'Ockham (مات حوالي 1349) ، الذي عبّرعن منهجه بقوله : "لا ينبغي أن نكثر من افتراض وجود كائنات من غير مبرر" ، فنجتث بالنصل كل كائن لا ضرورة لوجوده لتغيير الظاهرة التي نفسرها ، حيث لا نبقي إلاّ على ما تدعو لوجوده ضرورة التغيير ، وقد قال " أوكام" بهذا المبدأ بمناسبة الخلاف الذي كان قائما عندئذ بين فريق الاسميين والشيئيين ، حول الأسماء الكلية مثل الإنسان فالشيئيون وهم أنصار "الأفلاطونية" يزعمون أنه على جانب الأفراد الجزئية، مثل زيد وعمر هناك إنسان عام وهو الذي نطلق عليها الاسم الكلّي ، وها هنا قال "أوكام" مبدأه ، وهو يقضي بلا ضرورة لزعم وجود هذا الإنسان العام ، مادام افتراض وجود الجزئيات وحدها يكفي لتفسير الأسماء الكلية . أنظر(زكي نجيب محمود : المنطق الوضعي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، د ط، 1951، ص 464)

[1] جمال حمود : المرجع السابق ، ص 54.

[2] فؤاد كامل : المرجع السابق ، ص 29.

[3] برتراند راسل : فلسفة الذرية المنطقية ، تر: ماهر عبد القادر محمد ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية د ط ، 1998، ص 29 .

ورغم أن كثيرا من الباحثين يعتقد أن فكر "راسل" حول "الذرية المنطقية" مستقلّ تماما عن فكر "لودفيج فتجنشتين"* Ludwig Wittgenstein ؛إلاّ أنّه كثيرا ما يلجأ "راسل" إلى تلميذه في الحديث عن "الذرية المنطقية" ، وللتدليل على ذلك أخذنا هذا القول له :" قد قرر "فتجنشتين" مبدأ "الذرية المنطقية" بالكلمات التالية : كل عبارة تقال عن المركبات يمكن أن تحلّل إلى عبارة عن أجزائها التي تقوّمها ، وإلى تلك القضايا التي تصف المركبات وصفا كاملا " [1].

ومن هذا يؤكد "راسل" أن هناك حقيقة يريد أن يجذب المهتم إليها ؛ وهي أن العالم يحتوي جملة من الوقائع تلك التي تكون على ما هي عليها ، وقد اعترف بصعوبة وضع تعريف محدد للواقعة ، فاكتفى بشرحها ، واعتبر أن الواقعة هي نوع ذلك الشيء الذي يجعل قضية ما صادقة أو كاذبة ، وضرب لنا مثلا على ذلك ، إذا قلت أنها تمطر ، فهذا القول يكون صادقا تحت شرط المناخ ، فحالة المناخ هي التي تجعل العبارة صادقة وهذه هي الواقعة [2].

" والوقائع تنتمي إلى العالم الموضوعي ، فالواقعة لا يمكن أن تكون من صنع مقولات العقل أي أنها مستقلة عن تفكيرنا ، ولا يمكن أن تشيد باعتقاداتنا أو أفكارنا ، ومن ثم فإنها لا تنتمي إلى العالم العقلي "[3] .

*فيلسوف نمساوي ، درس في "كمبريدج" على يد برتراند راسل ، واعتبره كثير من الدارسين هاما في الفلسفة المعاصرة في القرن العشرين (20) ، حيث طوّر فلسفتين مختلفتين ، الفلسفة التحليلية ، وفلسفة اللغة ، ويمكن اعتبار الثانية استكمالا للأولى ، الفلسفة الأولى نجدها في كتابه "الرسالة المنطقية الفلسفية" سنة 1917 ، والثانية نجدها في كتابه "أبحاث فلسفية" صدر بعد وفاته سنة 1913 .أنظر(بيتر كوزمان وآخرون : أطلس الفلسفة ، تر: جورج كتورة ، المكتبة الشرقية ، بيروت ط11 ، 2003، ص 215).

[1] برتراند راسل : فلسفتي كيف تطورت ؟، المصدر السابق ، ص 144.

[2] برتراند راسل : فلسفة الذرية المنطقية ،المصدر السابق ، ص 32.

[3] ماهر عبد القادر محمد علي : المرجع السابق ، ص 114.

المطلب الثالث :الواحدية المحايدة بين العقل والمادة

وكان من نتائج محاولات "راسل" التقريب بين الفلسفة والعلم ، ظهور ما يسمى : " الواحدية المحايدة "؛ هذا المذهب الذي قال به الفيلسوف الأمريكي (وليام جيمس) W.James * يقول "راسل" :" إن النظرة التي تبدو لي وكأنّها توفّق بين الاتجاه المادي لعلم النفس ، والاتجاه اللامادي لعلم الفيزياء ؛هي نظرة "وليام جيمس" والواقعيين الأمريكيين الجدد، الذين يعتبرون أنّ قوام العالم ليس ذهنيا ، ولا ماديا ، بل هو مادة محايدة يتركب كل منهما [1]؛ إن "الواحدية المحايدة" هي محاولة فلسفية للتقريب بين علم النفس والفيزياء وقد يستغرب القارئ من اعتبار علم النفس ينتمي إلى الاتجاه المادي ، والفيزياء للاتجاه اللامادّي ، فقد يلاحظ القارئ أن هناك تناقضا ، فنحن نعلم أن الفيزياء تتعامل مع الظواهر الطبيعية المحسوسة ، وعلم النفس يتعامل مع الظواهر النفسية العقلية وهي المرتبطة بالوعي واللاوعي ؛ يبرر "راسل" الفكرة ؛ معتبرا أن علماء النفس بزعامة المدرسة السلوكية* اتجهوا إلى ربط علم النفس بالملاحظة الخارجية للسلوك .

---

*1842-1910 ، علم نفس وفيلسوف أمريكي ، وهو ثاني فيلسوف عمل على وضع أسس البراغماتية ، كان اهتمامه في بداياته الأولى بالطب وعلم النفس، ومن المسائل التي عالجها كذلك نجد التوفيق بين الإيمان الديني ، والفكر العلمي ومن أبرز مؤلفاته نجد : مبادئ علم النفس سنة 1890 إرادة الاعتقاد 1897 البراجماتية سنة 1907 . ينظر (علي عبود المحمداوي وآخرون : الفلسفة الغربية المعاصرة ، ج1 ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، منشورات ضفاف ، بيروت دار الأمان ، المغرب، ط1، 2013، ص 29)

[1] برتراند راسل : تحليل العقل ، المصدر السابق ، ص 5.

* مصطلح ادخله عالم النفس الأمريكي المعروف في حقل علم النفس (جون برودوس *واطسون*) Watson (1878-1985) للدلالة على مذهب في علم النفس كان هو رائده ، يقوم على قاعدة أساسية ، ينبغي لعلم النفس أن يقتصر على معطيات السلوك وحدها ، والتي يمكن ملاحظتها ، وقد كان علم النفس في بدايات القرن العشرين (20)، يهتم بحالات الشعور، والانطباعات الذاتية التي لا يبلغها إلا الاستبطان وحده ، وبالتالي لم يكن في وسع علم النفس أن يكون تجريبيا ، حتى جاء "واطسن" وقد قرّر تطبيق الطرائق التجريبية في سلوك الحيوان ، على الموجودات الإنسانية ، وبهذا خرج علم النفس من دلالة وقائع الشعور إلى الوقائع المادية ينظر (نوربير سيلامي : المعجم الموسوعي في علم النفس ، ج3، تر: وجيه أسعد ، منشورات وزارة الثقافة دمشق ، د ط ، 2001، ص 1356)

وذلك من خلال جعل علم النفس علم تجريبيا ، وهم في هذا يميلون إلى موقف وتفكير مادي أمّا الفيزيائيون والذين يتزعمهم العالم الفيزيائي الأمريكي المشهور صاحب النظرية النسبية "ألبرت أينشتين " Albert Einstein (1879- 1955) يجعلون من المادة أقل وأقلّ مادية فهم يصنعون لأنفسهم عالما افتراضيا ؛ يتكون من وقائع ، ندركها عن طريق العقل وهذا ما ينطبق على الزمان ، والمكان والجاذبية [1].

من هنا يمكننا القول أن "راسل" توصل إلى "الواحدية المحايدة " من خلال دراسة الاتجاهات المعاصرة في "علم النفس" و"الفيزياء" ، وكان على علمٍ تامٍّ بأبحاث "السلوكيين" الذين اعتبروا أن الإنسان كله جسد وليس عقلا ، وفي نفس الوقت كان " أينشتين" يحدث تغييرا في وجهة النظرية التقليدية للكتلة والمادة [2] .

"الواحدية المحايدة" هي نظرة تحّلل العالم تحليلا علميا فلسفيا ، إذ ترجعه إلى نوع من "المادة الخام" الأولى، التي ليس هي المادة بمعناها المعروف ، ولا هي العقل بالمعنى الشائع ، بل هي "واحدية" تسعى إلى تجاوز الاختلافات بين المادة والعقل ، و"محايدة" لأن العالم لا يرجع لا إلى العقل ، ولا إلى المادة ، ولا حتى الجمع بينهما بل يرجع إلى "هيولة محايدة" Neutral Monism [3].

وعليه حاول "راسل" تجاوز كل الأطروحات السابقة في تحليل العالم سواء التي أرادت الجمع بين العقل والمادة ، أو الفصل بينهما ، أو نفي أحدهما، وتغليب الآخر.

---

[1] برتراند راسل : تحليل العقل ، المصدر السابق ، ص 5.

[2] ألان وود : برتراند راسل بين الشك والعاطفة ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1، 1984 ص 118.

[3] عزمي سلام : واحدية محايدة بين العقل والمادة ، مجلة الفكر المعاصر، مرجع سبق ذكره ، ص 42.

يشرح "زكي نجيب محمود" هذه الفكرة بقوله :" "الواحدية المحايدة" نظرية مؤداها أن العقل والمادة : ليسا ضربين من الموجودات مختلفين اختلافا جوهريا ، بل العقل والمادة كلاهما مشتق من "هيولي محايدة" ، لا هي عقل ولا هي مادة ، لكن أجزاؤها إذا ارتبطت بمجموعة معينة من العلاقات أسميناها عقلا ، وإذا ارتبطت بمجموعة أخرى أسميناها مادة أما المادة الخامّة ، أو " العجينة" أو المبدأ الذي منه يتكون العقل والمادة كلاهما على الحياد لا هو هذا ولا هو ذاك ، لا هو عقل ولا هو مادة " [1].

نفهم من هذا أن : الواحدية المحايدة هي نظرية ترى أن ما نعتبره عقليا ، وما نعتبره ماديا لا يختلفان اختلافا جوهريا ، حيث تكون للأشياء المادية خاصية ذاتية ،لا تكون للأشياء الذهنية ، بل الاختلاف فقط من ناحية التنظيم ، فإذا ارتبطت الأجزاء على نحو ما قد تكون عقلا،وعلى نحو آخر قد تكون مادة ، إذن فالعقل والمادة مكونان من نفس "الهيولي المحايد".

بهذه النظرية استطاع "راسل" أن يتغلب على ثلاث مشكلات أساسية تصطدم بها الفلسفات التقليدية، تلك المشكلة التي جعلت الفجوة عميقة بين المادة والعقل ممّا أدّى إلى تقسيم العالم إلى نصفين يستحيل العبور بينهما ، كما استطاع أن يتخلص من العنصر الغيبي الخفي، الذي كان يلجأ إليه الفلاسفة لتفسير الأشياء الخارجية، وانتهى إلى حل مشكلة أخيرة وهي نسبية الإدراك الحسي[2] .

هذه بعض النماذج التي استعنا بها في شرح الفلسفة العلمية عند "راسل" ، ومهما بلغ بنا الأمر فإنّنا لا نستطيع أن نحيط بها كاملة لاعتبارات كثيرة ، لعل أهمها ثراء فكر الفيلسوف إلى الحد الذي يحتاج وقتا طويلا ، وبحثا رصينا للإحاطة بما يفكر به ، وبما يكتبه في سياق الفلسفة العلمية ، هذه ما يجعلنا نعترف أن هناك كثيرا من الحقول الفلسفية

[1] زكي نجيب محمود : برتراند راسل (نوابغ الفكر الغربي) ، مرجع سبق ذكره ، ص 110.

[2] المرجع نفسه : ص 113.

في هذا السياق لم نتطرق لها ليس إهمالا ، وإنما لصعوبة الاستيعاب ، لهذا جعلتنا هذه التحليلات، نبحث عن شرح آخر لها ، والذي سيظهر في اتجاهات فلسفية تنتمي إلى الفلسفة العلمية عنده ، ساهم في وجودها "راسل" بشكل كبير، وهذا ما سنبيّنه فيما يلي :

المبحث الثالث: اتجاهات في فلسفة برتراند راسل العلمية

هي اتجاهات –كما قلنا– ساهم "راسل" ، في وجودها بطريق مباشر أو غير مباشر منها ما كان معاصرا له ، ومنها ما ساهم في تكوين فلسفته ،ومنها ما جاء بعده ، وبالتالي فإن هذه الاتجاهات، ستساهم بشكل كبير في توضيح الفلسفة العلمية عنده .

المطلب الأوّل : الواقعية الجديدة Néoréalisme

"الواقعية" في معناها العادي هي رؤية الأشياء كما هي ، وهي على عكس "المثالية" وفي الفلسفة تعتبر "الواقعية" عن مبدأ يؤكّد وجود حقيقة الأشياء، مستقلة عن الذات الإنسانية وأنّ الإنسان يعرف الجزئيات ، وهي تؤكد كذاك على الموضوعية في شتىّ مجالات المعرفة الإنسانية [1]، وجاء في الموسوعة الفلسفية التي أشرف عليها (روزنتال يودين) مايلي : " الواقعية الجديدة : اتجاه في الفلسفة الأنجلو أمريكية في القرن العشرين (...) وتقوم النظرية الواقعية في المعرفة على أساس فكرة محايثة المستقل وهي الاعتراف بأن الشيء يمكن أن يدخل الذهن مباشرة، ولكن في الوقت نفسه، لا يتوقف على المعرفة ، فيما يتعلق بوجوده وطبيعته (...) وأن الأشياء مستقلة عن العلاقات التي تدخل فيها (نظرية العلاقات الخارجية) "[2].

[1] André comte sponville , dictionnaire philosophique, Presses universitaire de France , Paris 2001 ,p1054.

[2] روزنتال يودين وآخرون : الموسوعة الفلسفية ، دار الطليعة ، بيروت ، د ط ، د س ، ص 574 ، 575.

نفهم من هذا التعريف أن الذهن البشري، ليس هو من يساهم في وجود الأشياء بل هو مستقل عنها ومحايثٌ لها ،حيثُ أنّه قد يغيب الذّهن المدرِك ؛ فيما تبقى الأشياء الخارجية موجودة ، والمعرفة بها تبقى مستمرّةً ، إذن فوجود الأشياء الخارجية مستقل عن وجود الذات المدركة لها، ممّا يجعل المعرفة موضوعية ،لأنها متعلقة بالمدرَك.

ويعود الفضل في ظهور الحركة "الواقعية الجديدة" في انجلترا بالدرجة الأولى إلى "جورج إدوارد مور" ، إذ اعتبر ممهّدا لظهور هذه الحركة الفلسفية منذ سنة 1903 وذلك من خلال نشره لمقالة مشهورة سماها "دحض المثالية "،وهي مقالة حاول فيها إبطال دعاوى المذهب المثالي (كما بيّنا سابقا) ، ثم انتقلت بعد ذلك هذه "الواقعية" وتطوّرت على يد كثير من الفلاسفة الانجليز ، من بينهم "برتراند راسل" [1] ؛ وعلى سبيل التذكير ؛ من بين الانتقادات التي وجهها "مور" للمثالية في مقاله السابق ؛ أن المثاليين يربطون تماما بين الذات والموضوع ، وهو أمر خاطئ يثبت عجزهم الكبير عن ملاحظة أنهما شيئان متمايزان فهم يعتقدون مثلا أنّ اللون الأصفر والأخضر وغيرهما ، والإحساس باللّون تجمعهما هويّة مطلقة ، لكن هذه الهويّة عنده تعبّر عن خطأ ناتج عن تناقض ذاتي ، والتحليل الصحيح للإحساس يثبت أن الإحساس حالة معرفة ، أو وعي مختلف تماما عن موضوع الإحساس [2]؛ من هذا كانت أهم مميزات الواقعية الجديدة ، أنّها حركة فلسفية تهتم بنظرية المعرفة، بدل التوجه نحو الميتافيزيقا، هذا الاهتمام جعلهم يحللون المشكلات الفلسفية ليعالجوها واحدة بواحدة ، وأهم هذه المشكلات هي: المعرفة الإنسانية [3] .

---

[1] بوخينسكي : تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا ، تر: محمد عبد الكريم الوافي ، مؤسسة الفرجاني ، ليبيا ، ط2، دس ، ص 89.

[2] بهاء درويش : مفهوم التحليل عند جورج إدوارد مور ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 25 ، العدد الأوّل +الثاني ،2009، ص 604 ، 605.

[3] زكي نجيب محمود : برتراند راسل (نوابغ الفكر الغربي) ، المرجع السابق ، ص 36.

لهذا عندما وضع "راسل" كتابه " مشكلات الفلسفة" خصّص منه جزءا كبيرا للحديث عن نظرية المعرفة ، يقول في مقدمة هذا الكتاب : " في الصفحات التالية حصرت نفسي في المقام الأول في مشكلات الفلسفة البنَّاءة ، إذ يمكنني قول أشياء ايجابية، لهذا السّبب احتلت نظرية المعرفة مساحة أكبر من الميتافيزيقا " [1] .

وكان "الواقعيون الجدد" يقومون بتحليل مشكلات الفلسفة إلى أصغر أجزائها ، ليعالجوا كل جزءٍ على حدة ، دون العناية بأن تكون هذه المشكلات جزءا من مسألة واحدة كبرى ومن هذه المشكلات ، بل وأهمها –كما قلنا سابقا– مشكلة المعرفة الإنسانية [2].

وهذه الفكرة ستظهر واضحة ومفصّلة في الحديث عن مميّزات الفلسفة التحليلية ، التي في حقيقتها هي منهج استعمله "الواقعيون" من أجل صياغة مشكلاتهم والدفاع عنها ضد "المثالية" .

لهذا اعتبر كثير من المفكرين أن هؤلاء الفلاسفة هم تجريبيون متطرّفون في تجربتهم إذ يعتبرون أن المعرفة الإنسانية كلّها ترتد إلى التجربة ، تلك التجربة التي لا تتعدى القالب الحسيّ ، وفي هذه النقطة بالذات نلمس الانعكاس الكبير والواضح للنزعة التجريبية الإنجليزي عموما ، التي يمثلها "جون لوك" John Locke (1632–1704) و الفيلسوف "ديفيد هيوم" Hume David (1711 –1776) و الفيلسوف "جورج بركلي" Berkeley George (1685–1753) و"جون ستيوارت مل" John Stuart Mill (1806–1873)[3] .

[1] Bertrand Russell, the problems Of Philosophy , Opcit ,P5.

[2] زكي نجيب محمود : برتراند راسل (نوابغ الفكر الغربي) ، المرجع السابق ،ص 36.

[3] بوخنسكي : المرجع السابق ، ص 91.

وهذه الفكرة سنجدها عند "راسل" وعند كثير من الفلاسفة الانجليز عموما في علاقة تأثير وتأثر ؛ حتى أن "راسل" قبل ذهابه إلى "كمبريدج" كان قد قرأ قدرا كبيرا من فلسفة "جون ستيوارت مل " ، وقد كان راضيا بمنطقه الاستقرائي في عديد من النقاط ، وبالتالي بدأ تأثره بالتجريبية في تلك الفترة يتّضح ، رغم سيطرة "الفلسفة الهيجلية" في انجلترا [1].

ونظرية المعرفة عند "الواقعيين الجدد" تتميّز ببعدها عن الذاتية قدر المستطاع ، فعندما يعرف الإنسان شيئا عن العالم الخارجي، عليه أن يكشف عن شيء موجود خارج ذاته وسيظل موجودا ، وإن ابتعدت الذات عنه، وإن غيّر الإنسان معرفته حول ذلك الشيء هو أمر يخصه لا علاقة له بالشيء في حد ذاته [2].

ومن هنا تكون مكوّنات التجربة منعزلة عن التجربة في حد ذاتها ، وتبعا لهذه المعطيات سنجد هذه الفلسفة تتحدث عن ما يسمّى بـــ:"التعددية" ، والتي تقف ثورة ضد " الواحدية" التي دافعت عنها الفلسفة المثالية بشدة ،وهذه التعددية مفادها أنه توجد كثير من الأشياء المستقلة المنفردة في العالم [3] .

وبالتالي لا تكون الأشياء الخارجية تابعة للذات التي تسعى إلى التعرّف بها ، بل توجد مستقلة عن التجربة الحسية ، مما يجعل الشيء يبقى على وجوده رغم غياب الذات أو تغيّر نظرتها إليه ، وعليه تكون المعرفة موضوعية مبتعدة تماما عن الذاتية .

وزيادة على ذلك كله إن"الواقعيين الجدد" يعتمدون المناهج العلمية في بحوثهم ، معتبرين هذه المناهج السبيل الوحيد الذي يجب على الفلسفة أن تسلكه ، من أجل حلّ مشكلات الإنسان والبحث عن نهايات لها[4].

---

[1] Nicholas Griffin ,opcit ,p85.

[2] زكي نجيب محمود : برتراند راسل (نوابغ الفكر الغربي) ، المرجع السابق ، ص 34.

[3] أي سي جرايلينج : المرجع السابق ،ص 40.

[4] بوخنسكي : المرجع السابق ، ص 90.

"(...) وعلى كل فليس المقصود باهتمام الفلسفة المعاصرة بالعلوم والرياضة ؛ أنّها تسعى إلى ما يسعى إليه العلم من جمع الحقائق، واستدلال القوانين،بل المقصود هو أنها تأخذ من العلم مبادئه وطرائقه ومدركاته الكلية فلئن كان العلم يسعى إلى تصنيف الحقائق في مجموعات مستعينا في ذلك بالقوانين العلمية ، فهذه القوانين العلمية نفسها بمثابة المادّة الخامّة للفلسفة ولكن بأي معنى ؟ بمعنى أن الفيلسوف المعاصر يجعل فلسفته تحليلا للعلوم في مبادئها"[1] .

ومن العلوم التي استفادت منها " الواقعية الجديدة" نجد : الفيزياء والرياضيات ، وكان نتيجة هذا الاهتمام في النهاية ؛ أن أصبحت فلسفة تهدف إلى معرفة الأجزاء أكثر من الكلّ فهي لا تهتم بالآراء الشاملة ، وذلك يجعلها تنظر إلى المعرفة بواصفها واقعة طبيعية ضمن غيرها من المذاهب ، واتجه المفكّرون إلى القول أن "الواقعية الجديدة" هي فلسفة تهتم بحلّ المشكلات أكثر من إثارتها ، كما أنّها لا تهتم ببناء المذاهب إنها فلسفة نقدية لا تأملية، ترفض الاقتراب من كل ما هو ميتافيزيقي وأعلامها معروفون "مور" "راسل" "هوايتهد" [2].

المطلب الثاني : الفلسفة التحليلة Analytical philosophy

وقد دلّ "مور" "راسل" على الفلسفة الجديدة ، المتعلقة بالواقعية ، وكان لها صدى عميق بحلول عام 1911، ثم اشتركا في تطوير هذه "الواقعية الجديدة" ، باستعمال منهج تحليلي مما أدّى إلى ظهور اتجاه آخر وهو "الفلسفة التحليلة "[3] ،وهو الاتجاه الذي كان امتداد للفلسفة الواقعة ، وقد ساهم "راسل" كثيرا في نشأته وتطويره .

[1] زكي نجيب محمود : برتراند راسل (نوابغ الفكر الغربي) ، المرجع السابق ، ص 39.

[2] إمام عبد الفتاح إمام : مدخل إلى الفلسفة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، د ط ، 1986، ص 308.

[3] Nicholas Griffin : opcit ,p109.

هذه الأخيرة التي تعالج المشكلات عن طريق إيضاحها للغة، التي وردت ضمنها؛حيث تحلّل العبارات المركبة ، وتردّها إلى عناصر أكثر سهولة ، كما هو الحال في فحص دلالات المفاهيم والقضايا، بالإضافة إلى فحص النص الذي استخدمت فيه ، والهدف في النهاية هو البحث عن أسس البرهان ، وصلاحيته، وهذه الفلسفة لا تهدف إلى بناء نظرية كاملة ، بل هي وسيلة لتحرير العقائد الفلسفية من الغموض [1].

وفي الحقيقة لا توجد تسمية دقيقة للفلسفة التحليلية ، فمن مسمياتها نجد : التحليل اللغوي ، التحليل المنطقي، وكانت في مرحلة من المراحل تسمى : "فلسفة كمبريدج"، وتسمّى في طورها الأخير باسم : "فلسفة أكسفورد" لكن- يتفق التحليلون عموما على أنّ هدف الفلسفة هو تحليل القضايا إلى أبسطها [2]، حتى نصل في آخر التحليل إلى ما سمّاه "راسل" :" الذرية المنطقية "* والذي كان بمثابة المذهب الأساسي في فلسفته .

ويقوم الفلاسفة التحليلون : بتفتيت المشكلات الفلسفية إلى أجزاء صغيرة ، ومعالجة كلّ جزء على حدة ، والأفضلية في هذا معرفة المسائل الصغيرة ، تلك التي تحتاج إلى شيء من الدقة ، واعتبارا لهذا تقف هذه الفلسفة ، ضد الطرح الشمولي الذي يهدف إلى بناء مذاهب عامة ، وتكون حينها الإجابة عن المشكلات الكبيرة ، والشمولية انطلاقا من التحليلات الدقيقة للمشكلات الجزئية والتفصيلية [3].

إذن فالفلسفة التحليلية تقع ضمن النسق العام لفلسفة "راسل" ، وهو النسق الذي يقوم على تحليل القضايا المركبة إلى أن يصل إلى آخر الأجزاء ، أو الذرّات .

---

[1] قادري عبد الرحمان : فيتغنشتاين والتداولية ، مقاربة فلسفية لمرحلة التأسيس ، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الفلسفة ، إشراف : زواوي الحسين ، جامعة محمد بن محمد ، وهران2، 2014-2015 ، ص 7.

[2] محمد مهران ، فلسفة برتراندراسل ، مرجع سبق ذكره ، ص 10.

* سبق وان تحدثنا عن هذا المذهب بالتفصيل في المبحث السابق .

[3] محمد مهران : المرجع نفسه ، ص 15.

و"الفلسفة التحليلية" ترفض نظرة "الفلسفة المثالية" ، التي تنظر إلى الكليّات ، مبتعدة عن المسائل الجزئية ؛ التي هي أساس تلك المشكلة ، والطريق نحو حلّها وهذا الأمر معروف منذ ظهور "الواقعية الجديدة" على يد "مور"؛ لهذا بدأت حركة التحليل من حيث بدأت "الواقعية الجديدة" في الثورة على الفلسفات المثالية خاصة" الهيجلية" :

" ترجع بداية التحليل (...) إلى ظهور المقال الذي كتبه "جورج مور" :"تفنيد المثالية " سنة 1903 (وقد ذكرناه سابقا) والذي ثار فيه ضد "الهيجيلية "والمثالية الجديدة وقدّم في الوقت نفسه مثالا علميا لمنهج جديد في معالجة مشاكل الفلسفة " [1] .

وإن موضوع التحليل كما أكّده "مور" هو:" الفكرة أو القضية ، أي ما تعنيه هذه الفكرة أو هذا التصوّر ، وأن أقوم بهذا التحليل يعني أن آتي بعبارة لفظية أخرى تجمعها هويّة في المعنى بالعبارة اللفظية الأولى ، المعبّرة عن التصوّر أو القضية (...) فمثلا التصوّر (أخ) هو أن آتي بتعبير آخر له المعنى نفسه مثل : (شقيق ذكر) A mal Sibling "[2].

ثم طوّر "راسل" فكرة التحليل لتكون فلسفة بحقٍّ ، وتحتلّ مكانتها في سياق تاريخ الفكر الفلسفي ، حيث استطاعت أن تجد كثيرا من القبول، لدى كثير من المفكرين الذين ساهموا في تطويرها ، وتعميمها على جميع حقول الفلسفة.

وفي الحقيقة أنّ تطبيقات "الفلسفة التحليلة" بدأت مع "راسل" حول الرياضيات التي أراد أن يرجعها للمنطق ، ثم بعد ذلك تجاوز التحليل الرياضيات والمنطق إلى حقول أخرى ، مثل نظرية المعرفة ، فلسفة اللغة ، الميتافيزيقا فلسفة العلوم [3].

[1] محمد مهران :المرجع السابق ، ص 22.

[2] بهاء درويش : المرجع السابق ، ص 498.

[3] Nicholas Griffin ; opcit ,p.311

ومن مميّزات "الاتجاه التحليلي" كذلك : وضوح الأسلوب ، والتخلص من الزخارف اللغوية والعبارات الصعبة والغامضة ، كتلك التي كان يستعملها الفلاسفة المثاليون ؛ اعتقادا منهم أن الشخص عميق الفكر هو الذي يكون صعبا على الفهم ، معقّد الأسلوب ، وهذا التفكير لا نجده عند الفلاسفة التحليليين فهم لا يذكرون كلمة واحدة إلا وحدّدوا معناها ، احتراما لمهمة الفلسفة في تحليل قضايا العلوم وتبسيطها[1] .

ومن خواص "الفلسفة التحليلية" كذلك ذلك النمط المعرفي،الذي تركّز عليه ؛ فهي تهدف دائما إلى معرفة العالم الخارجي ، هذا العالم الذي اعتبره الواقعيون الجدد مستقلا عن الذات تغيب هي ويبقى هو موجودا ، من خلال تتبعه وتصفّحه من أجل اكتساب المعرفة ، والهدف النهائي هو أن تكون الفلسفة علمية [2] ، فمادامت "الفلسفة التحليلة" هي في نهايتها نتاج "الواقعية الجديدة" ،فهي دون أدنى شكّ ستنحو المنحى الذي اتجه إليه كل الواقعيون وهو معرفة العالم الخارجي باعتباره مستقلا عن الذات ، عن طريق الملاحظة الحسية من أجل الوصول بالفلسفة إلى تكون علمية في قضاياها ، في موضوعها ، في منهجها.

لهذا فهي فلسفة تعرف بالاهتمام الشديد بالمسائل المعرفية من زاوية تجريبية ،هذا لأنّ أقطابها فلاسفة تجريبيون ، متأثرون بالتجريبية الانجليزية الحديثة ، خاصة الأعمال الفلسفية مع "ديفيد هيوم" ، فالتجربة الحسية عندهم هي وسيلتنا لمعرفة العالم الخارجي ، وهذا النوع من المعرفة يؤدي دورا هامّا في مسألة الدلالة في اللّغة ، حيث يرتبط معنى القضية بما يسمّى بـ:"مبدأ التحقيق التجريبي" ، وبالتالي القضية التي لا تعبّر عن الواقع التجريبي هي قضية فارغة من المحتوى [3].

---

[1] زكي نجيب محمود : برتراند راسل (نوابغ الفكر الغربي) ،المرجع السابق ، ص 41.

[2] محمد مهران : المرجع السابق ، ص 16.

[3] جمال حمود : مسألة المعنى ونشأة التحليل في الفلسفة المعاصرة ، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، جامعة مصطفى اسطمنبولي ، معسكر ، العدد9، ديسمبر 2014 ، ص 239 ، 240.

إذن لابد أن ترتبط القضايا بالواقع التجريبي ، وتخضع إلى نوع من الاختبار القائم على التجربة الحسية حتى تكون قضايا واضحة ، ومنه تكون صادقة.ومتى ابتعدت القضايا عن الواقع التجريبي واتجهت نحو المثاليات تصبح دون جدوى ، أي قضايا فارغة من المحتوى ولا نحتاجها .

دون أن ننسى اهتمام هذه الفلسفة باللّغة كموضوع للفلسفة ، وهذا تعبير عن اهتمام فلسفي ومنطقي باللّغة ؛ على اعتبارها إطارا ملائمًا لحل المشكلات الفلسفيةِ ،خاصة تلك المتعلّقة بالمنطق ، وفلسفة الرياضيات، وكانت فلسفة اللغة عندهم تهدف إلى فهم طبيعة الأنساق المنطقية والعلمية والفلسفية ، حيث تعمل على شرح تلك الأنساق من خلال توضيح القضايا ، والنهاية هي وضوح تلك الأنساق [1].

وبالتالي جعلت من اللّغة وسيلة لإيضاح معاني القضايا ، التي تصدر عن الرياضيات والمنطق ، وهذا يساعدها في حلّ المشكلات التي تعتري المشتغل بهذه الحقول .

المطلب الثالث : الوضعية المنطقية Logical Positivism

يقول " زكي نجيب محمود" :" (...) هذا المنهج التحليلي نفسه ، وهذه الكتابة التحليلية الواضحة التي تحدّد معانيها تحديدا لا يدع سبيلا إلى غموض ، أو التواء ، هما نقطة الابتداء التي تفرّعت عنها مدرسة جديدة تولّدت عن "الفلسفة الواقعية" ، وقد جعلت تلك المدرسة الجديدة التحليل والتوضيح غايتها الأولى والأخيرة التي لم تعد –في رأيها– للفلسفة غاية سواها ، وإنما أعني بها "مدرسة الوضعية المنطقية" " [2] .

[1] جمال حمود : مسألة المعنى ونشأة التحليل في الفلسفة المعاصرة، المرجع السابق ، ص 236 ، 237.

[2] زكي نجيب محمود : برتراند راسل (نوابغ الفكر الغربي) : المرجع السابق ، ص 41.

إعتبارا لهذا يجب أن يدرك القارئ أن: الاتجاهات التي ظهرت في فلسفة "برتراند راسل" هي اتجاهات متفرعة عن بعضها بعضا ، حيث تؤدي الواحدة منها إلى الأخرى وفي النهاية تكون النتيجة نسق فلسفي يمكنه الوقوف ضد أفكار المثالية .

و"الوضعية المنطقية" هي وضعية لأنها ترفض الميتافيزيقا ، ومنطقية لأنها تقوم على تحليل العبارات الميتافيزيقية ، من أجل تبيان خلوّها من أي معنى؛ أي فارغة من المحتوى ، مادامت تلك العبارات،لا تتوافر على شروط الكلام المنطقي القابل للتحليل والمساعد على توضيح القضايا [1].

هذا وإن أنصارها وضعيون ، إذ يقتربون من العلماء ، كونهم يريدون أخذ الإنسان ليقف بفكره ، عند الحدود التي يستطيع فيها أن يقيمه على التجربة والخبرة ، مستندا في ذلك إلى الملاحظة الحسية ، ولا يتجه نحو الميتافيزيقا، والتأمل[2].

وللوضعية المنطقية عدّة تسميات منها : "الوضعية المعاصرة"،"الوضعية الجديدة" "التجريبية المنطقية" ، "التجريبية العلمية"، ومهما تعددت المسميات فإنّها تتبع نسق الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي "أوجست كونت" Comte Auguste * ، وهو النسق الذي يحاول الاقتراب من العلم ، والابتعاد عن القضايا الميتافيزقية، قدر المستطاع على اعتبارها قضايا لا تتعامل مع الواقع التجريبي ، ما من شأنه أن ينتج في النهاية الخرافات التي لا معنى لها ولا تعالج مشكلات الإنسان ، لهذا عليه التعامل مع منتجات الواقع فقط[3].

---

[1] زكي نجيب محمود : برتراند راسل (نوابغ الفكر الغربي) ، المرجع السابق ، ص 41.

[2] زكي نجيب محمود : حياة الفكر في العالم الجديد ، دار الشروق ، القاهرة ، ط2، 1982، ص 234.

* 1798-1857 فيلسوف فرنسي كاثوليكي ، مؤسس الوضعية ، وعلم الاجتماع الحديث ، في سنة 1826 ألقى محاضرات في كلية الهندسة المشهورة في "باريس" ، عرض فيها مذهبه الوضعي ، وقد كرّس حياته كلّها من أجل هذا المذهب ، وقد وضع بما يعرف قانون الأطوار الثلاث ؛ الطور اللاهوتي ، الطور الميتافيزيقي ، الطور الوضعي ومن مؤلفاته نجد : "محاضرات في الفلسفة الوضعية" في 6 أجزاء سنة 1830 ، "التقويم الوضعي" سنة 1829 "الوضعية على طريقة السؤال والجواب" سنة 1852– واعتبرت فلسفته الوضعية فلسفة لا تقبل البحث في ما يسمّى بالعلل الأولى فهذا البحث خال من كل محتوى. أنظر(عبد الرحمان بدوي : موسوعة الفلسفة ج1 ، المرجع السابق ، ص 313)

[3] زكي نجيب محمود : حياة الفكر في العالم الجديد ، المرجع نفسه ، 234.

وقد أنكر" أوجست كونت" كلّ تفكير ميتافيزيقي قبلي، مستعملا في ذلك المنهج التجريبي العلمي ، والمنهج الذي اتبعه الوضعيون عموما هو: "منهج تحليل لغة العلم" ، ووظيفة الفلسفة في النهاية هي: تحليل وتوضيح معنى التصورات العلمية الأساسية ، ومناهج المنطق، وليس بناء نظم، ومذاهب فلسفية [1]، والبدايات الأولى للوضعية المنطقية ترجع إلى ما يسمّى "حلقة فينا" Vienna Circl وهي عبارة عن تنظيم ضمّ مجموعة من الفلاسفة والرياضيين والمناطقة والعلماء ، كان يترأسهم الفيلسوف "موريس شليك" Schlick Moritz (1882-1936)* والذي كان أستاذا في "جامعة فينا"University of Vienna [2]،هذا عن البدايات الأولى لها ، أماّ عن مرجعيتها فقد كانت :" نتيجة متأخرة لما كان "راسل" قد قام به منذ ثلاثين عاما (30) من تحليلات منطقية ، و"راسل" هو الذي قدّم بمقدمة طويلة لكتاب " فتجنشتين" "الرسالة المنطقية الفلسفية"، وهو كتاب يعد بمثابة إنجيل للوضعية المنطقية " [3].

وكما قلنا سابقا قد توجّهت (الوضعية المنطقية) بالنقد والتحليل للأفكار والقضايا الميتافيزيقية ، وانطلاقا من هذه الفكرة ، رفضت القول بوحدة الكون وشموليته ، فالكون متعدد ، يجب علينا الاهتمام بالأجزاء من أجل حلّ المشكلات ، فأرادت الوضعية –على اعتبار أتباعها من رجال العلوم الطبيعية–؛ أن تقوم فلسفتهم على أسس ترتكز على ما نلاحظه ؛ فالقضية إمّا أن تكون صادقة أو كاذبة ، أو فارغة من المحتوى هذه الأخيرة من اختصاص المتافيزيقيين ولا تشغل اهتمام الوضعيين[4].

---

[1] محمد محمود الكبيسي : فلسفة العلم ومنطق البحث العلمي ، بيت الحكمة ، العراق ، د ط ، 2002، ص150

* فيلسوف ألماني ، درس فلسفة العلوم الاستقرائية ، وعرض نظرية المعرفة عند الوضعية المنطقية ، حيث ندّد بالمسائل الكاذبة للميتافيزيقا ، واهتم أيضا بمسائل الجمال والأخلاق ، قتل على يد أحد طلبته ، من مؤلفاته : "المكان والزمان في الفيزياء المعاصرة" سنة 1917 ، "النظرية العامة للمعرفة" 1918، مسائل في علم الأخلاق 1930 (جورج طرابيشي : المرجع السابق ، ص 399).

[2] جمال حمود : المرجع السابق ، ص 241.

[3] زكي نجيب محمود : برتراند راسل (نوابغ الفكر الغربي) ، المرجع السابق ، ص 42.

[4] محمد محمود الكبيسي : المرجع نفسه ، ص 151.

ومنه فالميتافيزيقا تحتوي على أقوال خاطئة، لا أساس لها، وإنّ قضاياها فارغة من المحتوى ، وخالية من المعنى ،لاهي صادقة ولا هي كاذبة ، ويجب على الفلسفة أن تحترم هذا العلم ، وأن تهتم بالقضايا التحليلية ؛ يقول (زكي نجيب محمود) :"(...) إنّ استحالة الحديث عن تلك الحقائق المزعومة ، وراء عالم الحسّ استحالة منطقية ؛ بمعنى أن كل عبارة يقولها قائل عن تلك الحقائق الغيبية المزعومة لو حلّلناها ؛ وجدناها فارغة من المعنى لأنّها استخدمت ألفاظ اللّغة في غير ما وجدت له تلك الألفاظ ، فكأنّما المشكلات الفلسفية كلّها ، تلك المشكلات التي قيل عنها أنّها مستعصية على الحل لعجز في قدرة الإنسان الفكرية ، إن هي في حقيقة الأمر إلا أشباه مشكلات ، وليست مشكلات حقيقة " [1].

وامتدّ الأمر إلى ما هو أبعد من ذلك ؛ فقد اعتبرت "الوضعية المنطقية" أن الأفكار الميتافيزيقية هي السبب المباشر للفوضى السائدة في أوربا في القرن (19) ، بعد الثورة الفرنسية ، والتي مسّت الجوانب السياسية والاجتماعية ، حيث ظهر جدل حادّ لا مخرج منه وغاب ما يقارب الآراء ، فكان لا بد من تحكيم العلم بدل الفلسفة [2].

يتضح من هذه التحليلات أن المحور الرئيسي الذي تدور حوله هذه الفلسفة هو محاربتها للميتافيزيقا، عن طريق التحليل المنطقي للغة ، والمبدأ الذي تستند إليه هو مبدأ التحقيق Principle Of Verification الذي مفاده أنّ معنى القضية يتجدّد عن طريق تحقيقها بالملاحظة التجريبية ، وقضايا المتافيزيقا لا تخضع للتحقيق التجريبي [3].

إذن فهي فلسفة تشكل امتداد لجميع أفكار الاتجاهات الأخرى في فلسفة "راسل" فهي ترفض رفضا مطلقا القضايا الميتافيزيقية ، وتسعى جاهدة إلى تفنيد المثالية ، وإتباع المناهج العلمية في تحليل قضاياها .

---

[1] زكي نجيب محمود : حياة الفكر في العالم الجديد ، المرجع السابق ، ص 235.

[2] قادري عبد الرحمان : المرجع السابق ، ص 12.

[3] جمال حمود : مسألة المعنى ونشأة التحليل في الفلسفة المعاصرة ، المرجع السابق ، ص 241 ، 242.

كما يتفق الوضعيون على ضرورة توحيد العلم ، فاللغة العلمية الواضحة وضوحا كاملا أمر ممكن، وحيث أنّ جميع العلماء كانوا مهتمين بنفس الوقائع الأساسية فقد اِستقر في رأي هؤلاء الفلاسفة أنه: من الممكن تحقيق وحدة لكل العلوم بواسطة تلك اللغة ، والعلوم التي حققت في نظرهم تقدما كبيرا في هذا السبيل ،هي الرياضيات والعلم الطبيعي، إلاّ أنّهم قد وجهوا انتباههم كذلك إلى العلوم الأخرى ، وبالتالي فتوحيد العلم يمثل أحد الاهتمامات الأساسية عند الوضعيين ، وينتهي بنا التحليل المنطقي إلى عدم وجود لعلوم مختلفة ذات مناهج متباينة أساسيا ، ولا وجود لمصادر متعددة مختلفة للمعرفة، بل هناك علم واحد فقط فجميع المعارف تجد لها مكاناً في هذا العالم، والمعرفة في حقيقتها ذات نوع واحد وما المظهر الخارجي للخلافات الأساسية بين العلوم؛ إلاّ نتيجة مضلّلة لاستخدامنا لغاتٍ فرعية للتعبير عن هذه العلوم[1].

كانت هذه بعض الاتجاهات التي كان "راسل" سببا في وجودها ، وكانت هي سبب في نشأة "الفلسفة التحليلة" عنده كذلك ، فالأمر يقوم على التأثير والتأثر ، وهو ما شَكَّلَ دورا بارزا في تطوير فلسفة "راسل" التي كان لها مكانة هامّة في القرن العشرين (20) وهو القرن الذي غيّر وجه العالم ، ولعلّ السبب الكبير في بروز هذه الفلسفة ، هو اهتمامها بالعلوم الدقيقة خاصة الرياضيات ، واتجاهها إلى اتخاذ اللغة وسيلة للتحليل ، والسعي إلى معالجة مشكلات الإنسان الواقعية ، والابتعاد قدر المستطاع عن القضايا المتافيزقية ، التي تعتبر مصدرا للخرافات التي لا معنى لها ، بل من شأنها أن تؤدي بالمجتمعات إلى التخلف والبقاء في دهاليز الظلام ، وعدم الانفتاح على التطور الحاصل في ميدان العلوم ، ومن بين القضايا المتافيزقية المثيرة للجدل في فكر الوضعيين عامة ، و"راسل" خاصة المعتقدات التي تختزل في منظورها العام في ما يسمى " الدين" .

[1] رافد قاسم هاشم : ردولف كارناب والوضعية المنطقية ، مجلّة جامعة بابل للعلوم الإنسانية ، بغداد ، المجلد 18، العدد 4 ص 1063.

نتائج الفصل:

مما سبق تحليله نستنتج النقاط الآتية :

- فلسفة "برتراند راسل" عامّة والفلسفة العلمية عنده خاصة ، كانت وليدة مجموعة من الظروف عايشها هذا الفيلسوف ، وكثير من المفكرين تأثّر بهم ، ممن كانوا قبله أو ممّن عاصروه ، حيث بقي وفيّا لثقافته القائم على السيرورة والتغيير .
- كان الهدف الأسمى لفلسفة "راسل" العلمية هو: محاولات التقريب قدر المستطاع بين العلم والفلسفة ، بل وتحقيق التكامل بينهما ، وهو ما تجلّى واضحا في رفض القضايا الميتافيزيقية ، مستعملا اللغة كوسيلة للتحليل .
- تنطلق الفلسفة العلمية عند "راسل" من رفض القضايا الميتافيزقية على اعتبارها قضايا فارغة من المحتوى ، لا تعالج مشكلات الإنسان ، بل تساهم في خلق مشكلات أخرى مرتبطة أساسا بالتخلف الذي يشهده على كل المستويات .
- شكلت الرياضيات والمنطق أسس الفلسفة العلمية عند "راسل" حيث حاول ردّ الرياضيات إلى المنطق ، من خلال كتابه "أصول الرياضيات" ، وهو ما تجلى في "الذرية المنطقية" و" الواحدية المحايدة" ، كما كانت بداياته الأولى مع "الهندسة الإقليدية".
- شكّلت جامعة"كمبردج" و"مؤتمر باريس" المنعطف الكبير الذي جعل "راسل" بتميز بنوع من الحرية في التفكير ، والتوجه نحو دراسة المنطق ، بحثا عن تماسك البرهان في كل القضايا التي يعالجها ، وهو ما يوجد في المنطق ، وصار بعدها مؤمنا ان القضايا التي لا تخضع للبرهان قضايا خاطئة.
- ظل "برتراند راسل" طوال حياته مؤمنا بفكرة التقريب بين العلم والفلسفة ، والنظر إلى الفلسفة نظرة علمية ، لهذا حقق فكره الشيوع ، وظهرت اتجاهات متنوعة في فلسفته تهتم بفلسفة العلوم ، منها "الواقعية الجديدة " ، "الفلسفة التحليلة" ، "الوضعية المنطقية " .

الفصل الثاني

الفلسفة الدينية عند برتراند راسل

تمهيد

المبحث الأوّل : المؤثرات الفكرية لرؤية راسل الدينية

المطلب الاول :البدايات الأولى مع العقائد الدينية

المطلب الثاني : الانقلاب على العقائد الدينية

المطلب الثالث: برتراند راسل والهيجلية

المبحث الثاني : مطارحات في الدين من منظور راسل

المطلب الأول : الفلسفة والدين

المطلب الثاني : العقلانية والحرية والدين

المطلب الثالث: الدين والتربية والأخلاق

المبحث الثالث : برتراند راسل والمسحية (لماذا لست مسيحيا؟)

المطلب الأول : وجود الله

المطلب الثاني : عيوب التعاليم المسيحية

المطلب الثالث: اللاأدرية

نتائج الفصل الثاني

تمهيد :

لم يكن الدين والتفلسف من المواضيع التي يمكن لفيلسوف مثل "راسل" أن يُهْمِلَهَا لاعتبارات كثيرة ، منها أن هذا الفيلسوف كما قلنا سابقا ، صاحب فكر عميق ، وشخصية موسوعية، ظلت تؤلف طوال حياتها ، كما أن الدين في الفكر الأوروبي شكّل موضوع جدل خاصة بعد "عصر التنوير" ، عندما خرجت أوروبا من ظلمات "العصر الوسيط" ، أين كانت تسيطر الكنيسة على مختلف مجالات التفكير ، ثم عرفت التقدم والتطور بفعل هذا الخروج وفي ظلّ هذه الظروف تعالت الصيحات للثورة على كل معتقد ديني ، يسبّب التخلّف فكان الدين من بين المواضيع التي نالت حظّها من الدراسة في الفكر الأوروبي ، وهي الدراسة التي شملت فلاسفة متعددين ، من بينهم "راسل" ، الذي كانت علاقته مع الدين في سنّ مبكرة ، وهو الذي نشأ في ظلّ أسرة عرفت بتديّنها الشّديد ، على عكس "راسل" الذي كانت نظرته للدين نظرة تدعو إلى الثورة على كل المعتقدات الإيمانية إنها ثورة تجسّد الرفض التام للمعتقدات الدينية، وهي ثورة تابعة إلى الثورة الكبيرة ضد "الفلسفات المثالية" ، هذا وإن صراع "راسل" الديني كان موجها نحو الكنيسة بصفة خاصة ، رغم ذكره كثيرا من الأديان منها " الإسلام" و"اليهودية" ، وحتى "البوذية"هذه النظرة السلبية للمعتقدات الدينية جعلتنا نتساءل :

- هل فعلا كان "راسل" رافضا تماما للدين ؟

المبحث الأول : المؤثرات الفكرية لرؤية "راسل" الدينية

مثلها مثل كل فلسفة "راسل" لم تكن فلسفته الدينية وليدة ظرف واحد ، ولا مدة زمنية معينة أو قصيرة ، عوامل كثيرة ساعدت على تكوينه الديني ، منها ما هو بارز ، ومنها ما هو خفي ، منها ماصُرِّح به ، ومنها ما بقي رهين فكره الخاص ، احتفظ به لنفسه واختص به ، دون غيره من الفلاسفة .

المطلب الأول : البدايات الأولى مع العقائد الإيمانية

لقد كان عهد "راسل" بالدين والعقائد الإيمانية قديما (منذ الطفولة) ؛ فقد جاء في مذكّراته ، المتعلقة بسيرته الذاتية أنّ : والده كتب في هذا السياق كتابا بعنوان :" تحليل العقيدة الدينية" ، كما أنّه امتلك في مكتبته الضخمة، مؤلفات عديدة في مجال العقائد لآباء الكنيسة ، وكتابات عن "البوذية" ، وكثير من الدراسات حول "الكونفوشيسية" [1] .

ثم سيتضح فيما بعد الدور الذي لعبته العائلة في توجيه "راسل" في بداياته الأولى من حياته نحو المذاهب الدينية ، والعقائد الإيمانية ، خاصة المسيحية ، هذه الأسرة التي عرفت بالتحرّر من الناحية السياسية ، والمحافظة الشديدة في مجال الأخلاق ، وفوق ذلك كلّه كانت شديدة الاستمساك بالتقاليد الدينية [2].

إذن كعادة أي طفل كان ارتباط "راسل" في نشأته بالعائلة ، وهو الارتباط الذي يجعل منه فردا أساسيا فيها ، وبالتالي سيتشرب من عاداتها وتقاليدها ، وقيمها ، ودينها ، لهذا أخذ منذ نشأته الأولى تعاليم الدين عن أسرته ، خاصة عن أبيه الذي عرف بتأليفه في هذا السياق ، مع امتلاكه لمؤلفات دينية .

---

[1] برتراند راسل : سيرتي الذاتية ، المصدر السابق ، ص13.

[2] رمسيس عوض : برتراند راسل المفكر السياسي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، مصر ، د ط ، 1966 ، ص 8.

ومما ذكره كذلك: أنه في فترات مراهقته، كان مهتما كثيرا بالدين مثل اهتمامه بالفلسفة إذ يقول :" (...) إلى جانب اهتمامي بالشّعر ، كنت أهتم بالدين والفلسفة اهتماما كبيرا وكان جدّي للأبي من أتباع الكنيسة الأنجليكانية (كنيسة انجلترا) Anglicanisme ، في حين كان جدّي لأمي من أتباع الكنيسة "المشيخية الاسكتلندية"، ولكن انتهى تدريجيا لمذهب التوحيد ، وكانوا يصطحبونني يوم الأحد إلى "الكنيسة الأسقفية" ثم يصطحبونني في الأسبوع التالي إلى "الكنيسة المشيخية " في حين كانوا يلقنوني في البيت مذاهب التوحيد "[1].

يتضح من خلال هذا القول أن "راسل" في بداياته كان ذا صلة قوية بالدين وتعاليمه وقد بلغ إيمانه مبلغا عظيما إلى درجة جعلته يقول :" (...) وخيّل لي أني لو توقفت عن الإيمان بالله ، وحرّية الإرادة وبالخلود أصيب بالشقاء [2]، وبالتالي اعتقد في الدين أنه مصدر السعادة ، والتي سيبحث عنها "راسل" في حياته كثيرا ، كونه عاش فترة كبيرة من الشقاء فيها ، بل وسيخصص مؤلفات للحديث عن هذه السعادة ، لتمكين الناس من الوصول إليها .

إذن لقد كان لعائلة "راسل" دور كبير في بناء علاقاته الأولى مع الدين ، وإن كان هذا البناء في بداياته لم يتضح جيّدا ، كان بناءا غامضا،لم يُعرف فيه بعد توجهه الديني رغم ممارسة هذا الفيلسوف لكثير من الطقوس، وهي ممارسة جعلت كثيرا من الأشخاص في محيطه يعتقد أنّه الإنسان المؤمن –بلغة المسيحية– والذي يمكن أن نلتمس منه الحفاظ على الطقوس الدينية للعائلة ، وهذه الأهداف التي كانت ترجوها العائلات المتدينة في أوروبا في ذلك العصر.

[1] برتراند راسل : سيرتي الذاتية ، مصدر سبق ذكره ، ص 52.

[2] المصدر نفسه ، ص 52.

وفي هذه الفترة بالذات قرأ "راسل" عدّة كتب ، ولعل أشهرها هو كتاب :"أسفار جليفر" للأديب "جوناثان سويفت" Jonathan Swift * ، هذا الكتاب الذي قال المحلّلون عن صاحبه " سويفت" أنّه:يعادي العلوم التجريبية ، التي لا يمكن التنبؤ بنتائجها سلفا ، ولا تنتج إلا الخراب، وكان يسخر من خلاله بكفاية العقل البشري ، وقدرته على حل جميع المشاكل التي تواجه البشر ، وهذا العقل وحده قاصر على التعرف على أسرار الكون، بل يجب عليه أن يستعين بالتعاليم السّماوية ، ويسترشد بها، وأكّد أنّ العقل إذا استقل عن الدين فإنه سيكون ذا ضرر بالغ، ونتائج سيئة [1].

يقول " راسل"عن تأثره بهذا الكتاب :" (...) كما قرأت رواية "أسفار جليفر" للأديب "سويفت "، في الطبعة الكاملة ، غير المنقحة ، وكان لِمَا ذكره كاتب الرواية في معرض حديثه عن قوم اسمهم " ياهو" أثر كبير في نفسي ، وأخذت أنظر إلى المخلوقات البشرية في ضوء تلك الرؤية " [2] .

إذن فقراءة الكتب لعبت دورها الرئيسي في الثقافة الدينية له ، خاصّة وأنه الفيلسوف الذي عُرِفَ بسعة الاطلاع ، في الوقت الذي عرف أنه لا يقبل الفكرة بسهولة ، لهذا فإن هذه المؤثرات سنشهد اختفاءها فيما بعد.

---

* 17451667– هو أديب وسياسي إنكليزي–إرلندي، عاش بين القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وكانت هذه المرحلة تعرف بـ:"عصر التنوير" في أوروبا ، وهناك من يطلق عليها اسم:"العصر النيوكلاسيكي" ، وقد عرف هذا العصر في أوربا بالحرص على الاستقرار ، عن طريق الاحتكام إلى العقل ، وإهمال العواطف والانفعالات ، وذلك عن طريق الابتعاد عن العنف ، لهذا توج العقل ملكا لكل المواهب والقدرات ، وقد كان " سويفت" مقربا من دوائر القرار ، ورجال السياسة وقد كتب العديد من الكتب والمقالات لفت إليها أنظار الأدباء ، وأمراء الكنيسة في انجلترا ، حتى صار له صوت مسموع في الكنيسة "الأنجليكانية" في "انجلترا " و"ايرلندا " ، تمكن من نيل منصب رفيع في الكنيسة "الانجليكانية" وصار من رجالها ، له عدة أعمال أشهرها : "رحلات جليفر" ، الذي قضى في تأليفه أكثر من خمس سنوات (1761–1766).ينظر(محمد رجا عبد الرحمان الديريني : من مقدمة ترجمة كتاب "رحلات جلفر" لـ"جوناثان سويفت" مكتبة لبنان ، بيروت ، ط1 ، 1990 ، ص XXVII)

[1] المرجع نفسه ، ص XXVII.

[2] برتراند راسل : سيرتي الذاتية ، المصدر السابق ، ص53.

تلك الرؤية التي تعتقد أن البشر شرير بطبعه ، وهذا الشرّ ناجم عن الاستعمال المفرط للعقل ، وإنّ العقائد الدينية لا تأتي بشرٍّ؛ بل لها دور كبير في تهذيب أخلاق البشر يقول "سويفت" على لسان "جليفر":" لكن ما استطعت اكتشافه أن بني "الياهو" هم أقلّ الحيوانات قابلية للتعلم ، وأنهم لا يصلحون لشيء سوى جر الأثقال وحملها (...) والعيب فيهم ناتج عن طبعهم الحَرُونِ الشرس، وطبيعتهم الفاسدة الشريرة ، فهم ماكرون ، نزاعون للانتقام ،خوافون وجبناء "[1].

المطلب الثاني :الانقلاب على العقائد الدينية

لقد كان " راسل" يتميز بطبيعته التمردية ، فقد تمرّد على جميع التقاليد الموجودة في العائلة والمجتمع، بل ووصل تمرده إلى التعاليم الدينية ، فقد بدأ يتخلّى عن حرية الإرادة واقتنع أن حركة المادة على أنواعها (حية ، ميتة) تتبع من قوانين "الديناميكا" ، وعليه تظهر صعوبة القول :أن للإرادة تأثير كبير على الجسم ، ثم بعد ذلك انتهى إلى الاعتقاد بعدم وجود حياة بعد الموت ، وأخطر من ذلك أنه ، وقبيل التحاقه بجامعة "كمبريدج" قرأ كتاب لـ:"جون ستيورات مل " بعنوان " سيرة ذاتية " [2]، وهو الكتاب الذي أثر على "راسل" تأثيرا كبيرا إلى درجة أنه قال :" لم يحدث لي أن التقيت بفلاسفة محترفين عدا "ميل" سواء في كتبهم أو لقاء شخصيا "[3] .

وسنلاحظ فيما يلي أن هذا الكتاب خير مجرى فكر "راسل" ، بل وغيّر قناعاته وتوجهاته ، خاصة في ما يتعلق بوجود الله ، هذا التغيير جعلنا نؤكد على أهمية ما يكتبه الفلاسفة ، من خلال التأثير الذي يتركونه في غيرهم .

---

[1] جوناثان سويفت : رحلات جلفر ، تر: محمد رجا عبد الرحمان الديريني ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط1، 1990 ص 227.

[2] برتراند راسل : سيرتي الذاتية ، المصدر السابق ، ص 52.

[3] برتراند راسل : فلسفتي كيف تطورت ، المصدر السابق ، ص 38.

وعند إطلاعه على كتاب " سيرة ذاتية" ، وقع نظره على جملة مفادها أن والد"مل" عَلَّمَ ولده أنّ الأسئلة الغيبية مثل من خلقك ؟ لا يوجد لها جوابٌ شافٍ ، فهي فارغة من المحتوى وهي سوف تؤدي إلى أسئلة أخرى لا مجال للخروج منها مثل قولنا : من خلق الله ؟ [1].

وبالرجوع إلى كتاب:"سيرة ذاتية لـ"جون ستيوارت مل " نجد هذا الأخير يقول :" قد زرع أبي في ذهني منذ البداية ، فكرة أن: طريقة بدء وجود العالم مسألة لا شيء معروف عنها ولا سبيل عندنا إلى الإجابة عن السؤال من صنعنا ؟ لأننا لا نمتلك تجربة أو معلومات أصلية ، نستطيع الإجابة عنها انطلاقا منها (...) وهكذا إلى أن نلقي بالمشكلة إلى الخلف لأنّ ثمة سؤال يطرح نفسه على الفور عند ذلك ألا وهو: من صنع الله ؟ "[2].

إلى أن انتهى "مل" إلى الابتعاد عن الدين ، والتخلّي عن العقائد الإيمانية ، وقد ساعده في ذلك والده : " نشأت منذ البداية من غير إيمان ديني بالمعنى المعتاد لهذه الكلمة وكان أبي الذي نشأ على مبادئ الكنيسة "البروتستانتية السكوتلندية" المحلية ، قد توصّل في وقت مبكر بفعل دراساته وتأملاته ، لا على رفض الإيمان بالتجلي فقط ، بل أيضا إلى رفض أسس ما يدعى عادة باسم : "الدين الطبيعي" " [3].

إذن كانت علاقة "مل" مع العقائد الإيمانية علاقة متوترة – إن صح التعبير– فهو نشأ على صراع معها ، جسّده رفضه القاطع لها ، والذي ورثه عن أبيه ، الذي كان يعلّمه ويربيه على رفض كل أنواع التدين .

---

[1] برتراند راسل : سيرتي الذاتية ، المصدر السابق ، ص 52.

[2] جون ستوارت مل : سيرة ذاتية ، تر: الحادث النبهان ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1، 2015 ص 36 37.

[3] المرجع نفسه ، ص 33.

والأسئلة التي طرحها "مل" في كتابه والتي كان مصدرها والده ، كان لها تأثيرها الكبير في عقائد "راسل" الدينية ، فلم يتوقف عند حدود إلغاء حرية الإرادة ، والتخلي عن الإيمان بالخلود ، بل انتهى إلى إنكار "العلة الأولى" للأشياء ، ومنه لا وجود لله يقول:" (...) وصرفني هذا عن حكاية :"العلّة الأولى ، وأصبحت بعدها ملحدًا ، ولكنّني في أثناء تلك الفترة الطويلة من الشكوك الدينية ، كان ينتابني الشّعور بالقلق ، لأني كنت أتخلّى تدريجيا عن عقيدتي ، غير أنّ هذه العملية ما كادت تتم وتصل إلى قرار؛ حتّى وجدت لفرط دهشتي أني مسرور جدّا، وتخلّصت من الموضوع برمته " [1].

اعتبارا لهذا فإن " "راسل" الفيلسوف قد اتخذ منذ بدايات تفكيره الفلسفي ، وجهة نظر المفكر الحرّ، الذي يرفض الآراء المسبقة ، ويَنْبُذُ النزعات المادّية ، ويحتقر الخرافات الغيبية وراح يهاجم الذين لا يزالون يتمسكون بفكرة "الله" و"الغائية" [2].

المطلب الثالث . برتراند راسل والهيجلية

لقد ذكرنا في الفصل الأول أنه:عندما دخل "راسل" "كمبريدج" وجد الكثير من الحرية الفكرية ، وهي الحرية التي مكنته من أن يفصح عن كثير من آرائه ، خاصّة فيما يتعلّق بالعقائد الدينية ، ورغم أنّه كان من المتأثرين بفكر :"ماكتاجارت" إلى درجة أنّه صار من أتباع "الهيجيلة" إلاّ أنّه انقلب على هذه الفلسفة ، وصار من أعداء المثالية وهي الفكرة الأساسية التي سيتضح من خلال تحليلها نظرة "راسل" إلى الدين.

وبالعودة إلى "هيجل" فلقد قدم دروسا كثيرة في الدين ، وأدلّة متعددة ومتنوعة حول وجود الله ، هذه الأدلة التي لن يقتنع بها "راسل" مهما بلغت درجة صلاحيتها وقوتها، بل وستكون منطلقه نحو الإلحاد.

---

[1] برتراند راسل : سيرتي الذاتية، المصدر السابق ، ص 52 ، 53.

[2] زكريا إبراهيم : فلسفة تمجد الإنسان ، مجلة الفكر المعاصر ، المرجع السابق ، ص 57.

وقد اعتبر "هيجل" أن الدين هو أساس بناء الحضارات ، بل وهو الحقيقة المطلقة التي تتوقف أمامها كلّ الحقائق ، وتعتدل إزاءها الأفكار، والقناعات ،وتجد الألغاز في ظلّها الحلول :" إنّنا في الدين نعتزل تقلّبات الزمان ، وأنّ الدين هو ذلك المحلُّ الذي تقف فيه بالنسبة إلى وعينا كل ألغاز العالم ، فتتضح فيه كلّ تناقضاتِ الأفكار التأمّلية العميقة وتصمت فيه كلّ آلام الأحاسيس ، إنّه محلُّ الحقيقة السرمدية ، والسكينة السرمدية ، والسّلم السرمدي ، وبه يكون الإنسان إنسانا " [1].

ومنه فالدين هو الحقيقة المطلقة ، ولا شيء يخرج عن مجالها ، والشكل الأسمى لوضوح الروح ، حيث تنتسب الرّوح الكلية إليه ، وأكد "هيجل" أن موضوع الدين هو : الله بوصفه العلة اللانهائية التي يتوقف عليها كل شيء ، ويتوقف عندها أي شيء [2]، يقول :" إن الدين يبدأ باعتباره التفكير في الله ، أما الجانب الثاني منه فهو نقطة انطلاقه ، وهي (الكلي) والذي هو نتيجة الحركة الأولى " [3].

فالله هو بداية كل شيء ، وهو غاية أي شيء في هذا الكون ، وإليه يرجع الأمر كلّه بل إنّه بقدرته يحفظ الأشياء جميعا ، يسيّرها ، يضمن لها التناسق ، يميتها ويحييها [4].

وهكذا فالدين عنده يشكل مبدءا لا يمكن التخلي عنه، متى أراد الإنسان أن يتطور في سُلّمِ الحضارات ، فالدين من بين الأساسات التي تعتمد عليها الأمم في البناء ، والتطوير وعليه يمكننا القول من هذا المنظور أن الدين هو كل شيء بالنسبة للإنسان .

---

[1] فريديريك هيجل : جدلية الدين والتنوير (من دروس فلسفة الدين لهيجل) ، تر: أبو يعرب المرزوقي ، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة مشروع "كلمة " ، الإمارات العربية المتحدة ، ط1 ، 2014 ، ص 27.

[2] عبد الرحمان بدوي : فلسفة القانون والسياسة عند هيجل ، دار الشروق ، مصر ، ط1 ، 1996، ص 174.

[3] فريديريك هيجل : محاضرات في فلسفة الدين (الله والفكرة الخالدة) ، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد ، مكتبة دار الكلمة القاهرة ، د ط 2004 ، ص 23.

[4] فريديريك هيجل : جدلية الدين التنوير ، المرجع نفسه ، ص 27.

أمّا عن علاقة الفلسفة بالدين نجده يقول :" إن المدار الثاني لتكوينات الروح القريبة جدّا من الفلسفة هو بوجه عام: مجال التمثل الديني (...) لقد وضعت الشعوب في الأديان ما كانت تفتكر به عن العالم ، عن المطلق ، عن ما هو كائن بذاته ولذاته ، عمّا كانوا يسمونه العلّة ، الجوهر ، وأخيرا عن رأيهم الخاص بموقف الرّوح البشري ، أو الطبيعة البشرية اتجاه هذه الأشياء ، أو اتجاه الألوهية والحقيقة " [1]، نفهم من هذا أنّ كل مواضيع الفلسفة تتمركز حول معطيات الدين ، لأنها متعلقة بكلّ ما هو مطلق فكلّ الأسئلة التي تطرحها الفلسفة ، نجدها في النهاية تدور في فلك الحقيقة السرمدية ، تلك الحقيقة التي تتجلى في المبدأ الأول وهو الله، وكلّ البشرية تسير وفق هذا النمط ، لهذا فإن العلاقة وطيدة بين الفلسفة والدين .

ويوضح "هيجل" هذه الفكرة أكثر من خلال أنّ الفلسفة عليها أن تجعل من الدين موضوعها الوحيد والهام ، وأن ترتبط بالفكرة المطلقة ، والروح الكلية ، على اعتبار الاشتراك الموجود بينها، وبين الدين في الموضوع ، ذلك أن موضوع الدين والفلسفة هو الحقيقة السرمدية ، والتي تتجلى في الله ، وبالتالي فإن الفلسفة ليست حكمة العالم ، أي معرفة ما هو دنيوي، بل معرفة ما هو سرمدي ، أي معرفة طبيعة الربّ واعتبر أن الفلسفة لا تشرح إلاّ ذاتها ، عندما تشرح الدين[2]، وانتهى "هيجل" إلى أن "الديانة المسيحية" هي أرقى الديانات لأنّ الروح (الله) قد حلت في الطبيعة من خلال كون المسيح ابن الله ، أي أنّه الروح المطلق الذي تغلغل في الطبيعة على نمط تاريخي ، بل هو أصفى الأنبياء ، إنه مختلف تماما عنهم هذا ما جعل الديانة المسيحية هي المبتدى ، وهي المنتهى [3].

---

[1] فريديريك هيجل : محاضرات في تاريخ الفلسفة (مقدمة حول منظومة الفلسفة وتاريخها) ، تر: خليل أحمد خليل المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1، 1986 ، ص 146.

[2] فريديريك هيجل : جدلية الدين والتنوير ، المرجع السابق ، ص 41.

[3] علي عبود المحمداوي وآخرون : فلسفة الدين، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، منشورات ضفاف ، بيروت ، دار الأمان الرباط ، ط1، 2012 ، ص 108.

إذن لقد كان هدف "الهيجليين" ككلّ، على غرار "ماكتاجارت" هو صبغ الميتافيزيقا "الهيجيلة" بصبغة "مذهب الألوهية" ؛ باعتبار الله عقل ضخم يحكم العالم ، ويمتلك الفكرة المطلقة، وعنده تتجلى الروح الكلية، واستخدام كل هذه الأفكار في خدمة الإيمان ،وتعزيزه لدى الإنسان ، والدين عندهم كالعلم والفلسفة ، إنما هو يسعى إلى الكلي، الكامن وراء الجزئي، أو الواحد وراء الكثرة ، وعليه فالإنسان بوصفه ذلك الكائن العاقل إنّما هو كائن ديني [1].

وهذه المعتقدات المتعلقة بفلسفة الدين عند"هيجل" وأتباعه ، أو "الهيجلية" ككل وثقافة المثاليات المطلقة، والروح الكلية ، سيتصدى لها "راسل" بالنقد ، وستشكل دون أدني شك مؤثرا فكريا لبناء نظريته "حول الدين "؛ على اعتبار أن المؤثر الفكري مهما كان نوعه ومهما كانت ماهيته ، قد يؤثر بصورة ايجابية ، والعكس صحيح، وفي هذا الصدد أثرت المثالية"الهيجلية" بصورة عكسية، فيما يتعلق بآراء "راسل" في الدين ، والتصدي الذي قدّمة "راسل" لهذه المثالية ، خاصة فيما يتعلق نظرتها العميقة ، والمتعصبة للدين ودوره في حياة الإنسان ، وعلاقته الكبيرة مع الفلسفة ، سنتعرض إليه بشيء من التفصيل فيما يأتي من مباحث :

المبحث الثاني: مطارحات في الدين من منظور "راسل"

في هذا المبحث سوف نعرض لآراء "راسل" حول الدين ، والعقائد الإيمانية ، هذه النظرة التي هي وليدة مجموعة من المتغيرات حدثت للفيلسوف في حياته ، تحت تأثير كتلة من التوجهات التي كونت في النهاية فلسفة تنظر إلى الدين ، من زاوية عقلانية ، انتهى به المطاف نحو الإلحاد، وما يتبعه من عداوة للمعتقدات الدينية .

[1] رودولف متس: الفلسفة الإنجليزية في مائة عام ، تر:فؤاد زكرياء ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، د ط ، 1963 ص 360.

المطلب الأول : الفلسفة والدين

يؤكد "برتراند راسل" أن الهدف الأساسي للفلسفة هو المعرفة الصحيحة ، التي تقوم على التمحيص الدقيق ، والنقد الصحيح ، للقواعد التي تقوم عليها الآراء والأحكام والمعتقدات ، وهي معرفة في عمومها تعطي النظام داخل نسق العلوم ، واعترف "راسل" أن هناك كثير من الأسئلة، التي لم يصل الإنسان إلى إجابة لها ، فلابد –حسبه– من الفلسفة أن لا تهملها ، بل تبقى تتأملها، وتبحث فيها على الدوام ، وذهب "راسل" إلى أن الشخص الذي لا يعرف شيئا عن الفلسفة؛ يبقى أسير سوابق الأحكام ، ومعطيات الأوهام التي تضنيه عن البحث في المسائل الموضوعية ، وهذه السوابق أخذها عن العادة والمألوف ، أو ما هو شائع ، أما إذا استعمل الفلسفة فإنه في النهاية يوسع مجال فكره ويطور عقله ، وزيد معرفته بالأشياء[1]؛ يقول :" (...) وإذا كانت الفلسفة عاجزة على أن تهدينا إلى وجه الحق والصواب ، بما تثيره من شكوك ، وما تطرحه من اختلافات إلاّ أنّها قادرة على أن تعطي كثيرا من المعطيات، التي توسع عقولنا ، وتحرّرها من غياهب العرف والتقاليد " [2].

اعتبارا لهذا ستختلف الفلسفة تماما عن الدين ، ولا يمكن لها أن تستفيد منه؛ فالدين لا يؤدي إلى المعرفة الصحيحة ، واستدل "راسل" على ذلك أن التطوّر الذي حصل في أوروبا منذ نهايةّ القرون الوسطىّ ، على جميع المستويات الممكنة ، والتقدم المعرفي الحاصل، والذي عرفه الفكر البشري الأوروبي ؛كان من خلال الخروج عن تعاليم الدين والثورة على الكنيسة [3].

---

[1] Bertrand Russell : The problèms Of Philosophy ,opcit , p239 to 244.

[2] Idem, p243.

[3] برتراند راسل : أسس لإعادة البناء الاجتماعي ، تر: إبراهيم يوسف النجار ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ، ط1 ،1987 ص 161.

فالدين يفرض نوعا من الرقابة على العقل ، ولا يدعه يفكر بحرية ، بل وأكثر من ذلك يعمل على قتل الإبداع فيه ، والأديان عبر التاريخ جعلت البشرية تقع في مستنقع الخرافة حيث صار الإنسان يؤمن بما لا يراه ولا يعرف عنه شيئا ، بل ولا يستطيع حتى الاستدلال عليه ،بالإضافة إلى عرقلة التطور ، والدعوة إلى التحجر ، وتشجيع الكسل والتعطيل[1].

وبدل أن يسعى الدين إلى تحصيل المعرفة الصحيحة، ومساعدة الإنسان في البرهنة على كثير من المعطيات التي تدور حوله ، اتجه نحو نشر الرعب، وذلك ما لم تفعله الفلسفة ؛يقول"راسل" :" إن مصدر الدين هو الرّعب فقد بَجَّلَ بعض أنواع الرعب ، وجعل البشر يعتقدون أنها ليست مخزية ، وبهذا فقد أساء بشدة إلى البشرية .كل أنواع الخوف سيئة "[2].

فالدين أساء إلى الإنسان من خلال جعله يعيش في إطار الخوف، في الوقت الذي حسّنت الفلسفة وضعه كثيرا ،وساعدته على التحرر، والخروج من سجن العادات والتقاليد الذي كان وسيلة للقضاء على روح الإبداع لديه ، وخلق التخلف .

ثم إن الدين يعتبر مصدر التعصّب ، حيث تقوم تعاليمه على معاداة الشك ، وإرغام البشر على الاعتقاد بها من خلال أسلوب التخويف ، وهذا ما ترفضه الفلسفة ، فالفلسفة دعوة إلى التحرر أساسها الشك ، هذا الشك الذي يقوم على دعائم استدلالية قويّة ، تؤكد تماسك البرهان عند الفلاسفة ، هدفها سامي جدّا ، وهو الوصول إلى اليقين ، اليقين الذي يأتي بعد صراع طويل مع معطيات التأمّل والبحث ، والخروج من ذلك التعصب للآراء والذي من شأنه أن يعرقل مسار المعرفة الصحيحة.

---

[1] علي عبود المحمداوي : الفلسفة الغربية المعاصرة ،المرجع السابق، ص 575.

[2] برتراندراسل : مالذي أؤمن به (مقالات في الحرية والدين والعقلانية) ، تر:عدي الزعبي ، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع ، سوريا ، ط1 ، 2015، ص 23 .

يقول "راسل" :"لقد حدّدت الفلسفة بأنها محاولة خارقة للتفكير بوضوح (...) ومزاج الفيلسوف نادر الوجود ، لأنّه يجب أن يتضمن صفتين متضاربتين إلى حد ما : من جهة رغبة قوية للاعتقاد برأي شامل عن الكون، أو الحياة الإنسانية ، ومن جهة أخرى العجز عن الاعتقاد بصورة مقنعة ، إلاّ فيما يظهر بأنّه من الأسس الفكرية ، وكلّما كان الفيلسوف عميقا ؛لابد أن تصبح أكاذيبه أكثر تعقّدا "[1]، والأكاذيب التي يقصدها هنا هي: التقدم في الشكّ على الصورة التي وضعها الفيلسوف الفرنسي" رونيه ديكارت" وهو الشكّ المنهجي الذي يهدف في نهايته إلى الوصول للمعرفة اليقينية .

المطلب الثاني :العقلانية والحرية والدين

إن الدين–كما ذكرنا–سابقا يفرض رقابة صارمة على العقل ، ولا يتركه يفكر بحرية وهو ما جعل"راسل" يؤكد على العقلانية والحرية ، فالعقلانية هي العنصر الذي يجمع أعمال "راسل" الفلسفية والمنطقية واللغوية والسياسية والأخلاقية، وهي تعني ألّا يصدق الناس إلا ما يمكن البرهنة عليه .

1. الإيمان العقلاني :

البداية الأولى لهذا الفيلسوف مع العقلانية ، كانت في صراعه مع الدين وتعاليمه إذ أكّد أنّه في سن الخامسة عشر من عمره (15)، انطلق نحو التدقيق في الحجج العقلية التي يقوم عليها الدين ، خاصة الدين المسيحي ، ووجد أن ما قدّمه هذا الدين لا يتناسب مع معطيات العقل ، فلهو لا يقوم على البرهان ، بل يقوم على الخرافة ، وانتهى به الأمر إلى إلغاء حرية الإرادة ، وإنكار وجود الله ، والخلود ، والحياة بعد الموت[2].

[1] برتراند راسل : بحوث غير مألوفة ، تر: سمير عبده ، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق، د ط ،2006 ص55.

[2] برتراند راسل : سيرتي الذاتية ، المصدر السابق ، ص 52.

وفي معرض حديثه عن إيمان العقلاني في كتابه :" مالذي أؤمن به؟" أكّد أنّ العقلانية والإيمان بالعقل ، تحقق التطابق مع الواقع ، والذي بموجبه يجب ألا نصدّق إلاّ ما نجد عليه دليلا ، وأطلق على هذه القاعدة اسم :" المشاعر الطيبة" ، ففي غياب العقلانية والتطابق مع الواقع ، يخسر الإنسان المشاعر الطيبة ، كونه إتجه نحو خداع الذات والخداع في نهايته هو ضد المشاعر الطيبة [1].

وقدم في هذا الصدد تعريف "جون لوك" للتطابق مع الواقع فهو :" عدم قبول أي قضية بثقة أكبر، مما سمح به الدليل الذي يدعمها " [2]، وبتقديمه لتعريف "لوك" يبيّن تأثره به في هذا السّياق (سياق العقلانية)،ولإثبات الأمر أكثر نسوق هذه المقولة لـ"برتراند راسل" في كتابه:"تاريخ الفلسفة الغربية" :" "جون لوك" هو رسول ثورة 1866،وهي أشدُّ جميع الثورات اعتدالا، وأكثرها نجاحا ، وكانت أهدافها متواضعة ، بل لقد تحققت تماما ، وحتى الآن لم يكون ثمة ضرورة لقيام ثورة بعد ذلك"[3] .

لقد اعتز الانجليز بهذه الثورة ، واعتبروها ثورة مجيدة ، تمكنت خلالها انجلترا من تحقيق التقدم في مجالات عديدة ومتنوعة.

إذن لقد كان إعجابه بـ"جون لوك" من خلال دعوته للاستدلال البرهاني على كل القضايا الممكنة، فهو الفيلسوف الذي كان يدعو إلى استعمال البراهين العقلية ، حتى على القضايا الدينية نفسها ، فالعقلانية عند "جون لوك" والتي أخذ بها "راسل" تقتضي استعمال الاستدلالات على كل القضايا المطروحة ، والتي تؤدي إلى تحصيل المعرفة الصحيحة .

---

[1] برتراند راسل : مالذي أؤمن به؟ ، مصدر سبق ذكره ، ص 132.

[2] المصدر نفسه ، ص 132.

[3] برتراند راسل : تاريخ الفلسفة الغربية (الفلسفة الحديثة) ، الكتاب الثالث ، تر: محمد فتحي الشنيطي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د ط ، 1966 ، ص 170.

يقول "راسل"عن "جون لوك":" (...) وبكل نسق القواعد الليبيرالية ، فمع أنّه رجل متدين بعمق ، ومع كونه مؤمنا مخلصا بالمسيحية ، يقبل الوحي كمصدر للمعرفة ، فهو رغم هذا يُطَوِّقُ تعاليم الوحي المعترف بها ، بإجراءات عقلية واقعية ، ففي مناسبة يقول :"الشهادة العارية للوحي هي أعلى يقين " ، ولكن في مناسبة أخرى يقول :" يجب الحكم على الوحي بالعقل، فالعقل يبقى في النهاية هو الأعلى" [1].

وهذه الفكرة التي كان يرددها دائما "راسل" معتبرا أن العقل هو الأعلى، وألا يقبل قضية على أنّها صحيحة؛ مالم تكن واضحة ومتفق عليها ، وغيرها لا بد أن يعرض على محكمة العقل .

وفي هذا الصدد أكد أن الرياضيات والمنطق من جهة ، ومعطيات التجربة الحسية من جهة أخرى،تحمل في طياتها قضايا واضحة صحيحة يمكن الإيمان بها مباشرة ، لأنّه من الصعب الشك فيها ، بسبب اتفاقها بين البشر، والأمثلة على ذلك كثيرة ، فمثلا 1+1=2 هي قضية يتفق عليها جميع البشر، أما القضايا الدينية فهي قضايا تشهد التذبذب في الإيمان، نظرا للصراع الحاصل حولها ، واعتبر أن الإيمان قائم على قاعدة هشة وهي قاعدة غير برهانية ولا دليل عليها ، فمثلا القول بأن الكون أوجده خالق حكيم وقدير وغايته خيرة ؛لا برهان عليها ، أو لا توجد أدلة ملموسة، تؤكد مثل هذا القضايا؛ فمثلا أليس لنا الحق أن نتساءل : هل هناك أي دليل على وجود هذا الخالق ؟[2].

ويبدو أنّه مازال متمسكا بالشك الديكارتي ، الذي وصل في نهايته إلى أن الرياضيات هي العلم الذي لا يتطرق إليها أدنى شك ، وأضاف إليه " راسل" المنطق ، ومعطيات التجربة الحسية.

[1] برتراند راسل : حكمة الغرب ، المصدر السابق ، ص174.

[2] برتراند راسل : مالذي أؤمن به ، المصدر السابق، ص 133 ، 134.

وفي ظل انتصار "راسل" للعقلانية ، اتجه إلى إثبات خطأ البراهين التي قدّمت من أجل إثبات وجود الله ، خاصة برهان "المسبب الأول" والذي مفاده أن : كل شيء في العالم نراه له سبب ، حتى نصل إلى العلة الأولى وهي الله ، وهذا لا يحظى بالقبول عنده بل لا يعترف به ، ولاشرعية له ، وعاد مرة أخرى إلى "مل" والسؤال الكبير :من خلق الله ؟ فإذا كان لكل شيء علة ، فلا بد أن تكون هناك علّة أوجدت الله ، وهو أمر مستحيل إثباته مما يجعل هذا البرهان يفقد شرعيته[1] ، هكذا إذن حاول "راسل" جاهدا أن يصل إلى تكريس مبادئ الاستدلال العقلي، على كل القضايا الممكنة، خاصّة تلك التي يقع فيها اختلاف جوهري ، ووجد أنّه في سياق العقائد الإيمانية تكثر الاختلافات ، خاصة في العقائد الكبرى المتعلقة بوجود الله، ومعها فكرة الخلود ، فقد أنكر فكرة الخلود انطلاقا من نظرية "الواحدية المحايدة" ، فالأديان تعتقد أنّ الروح تبقى خالدة ، بعد اندثار الجسد ، وبالتالي قد فصلت فصلا مطلقا بين الروح والجسد ، وهو نفسه الفصل الذي سعت إليه "الفلسفات المثالية" بين العقل والمادة ، لكن العقل والمادة ، والروح والجسد مرتبطان تماما ، فقد كان دائما يؤكد على أنه لا نستطيع الفصل بينهما ، بل ليس من المفيد الفصل بينهما [2].

وإن العقلانية تقضي على الشرور الموجودة في العالم ، هذه الشرور التي سببها الدين وقد فَنَّدَ النظرية القائلة بأن الشرور الموجودة في العالم سببها الابتعاد عن الدين يقول : " هناك نظرية تحظى الآن بقبول واسع الانتشار في العالم الغربي مؤداها أنّ :ما يصيب الأمم من شر، يرجع إلى ضعف الإيمان الديني ، واعتقد أن هذه النظرية عكس الحقيقة تماما ، ففي حدود صلة الدين بالموضوع ، يوجد في العالم من الإيمان ، قدر بكثير مما كان فيه منذ عهد غير بعيد"[3].

---

[1] برتراند راسل : مالذي أؤمن به؟ ، المصدر السابق ، ص 64 ، 65.

[2] ألان وورد :المرجع السابق ، ص 154.

[3] برتراند راسل : المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، د ط ، د س ، ص 189.

ولتبرير الفكرة يقدم "راسل" عدة شواهد تاريخية ، في الحرب العالمية الأولى (1914-1918) ، وهي الحرب التي زرعت الموت في كل مكان ، إذ خلّفت ملايين الضحايا ودمّرت البنية التحتية لعديد من المجتمعات ، قادها إمبراطور ألمانيا ، وقيصر روسيا وملك النمسا ، وكانوا جميعا على إيمان واسع ، فقد كانوا غيورين على المسيحية وفي "فرنسا" لم يكن هناك سوى سياسي واحد، ليس بمسيحي وهو القائد الاشتراكي المعروف "جان جوريس"Jean Jaurès (1859-1914) وقد تم قتله لأنّه عارض الحرب ، وقد لقي موته استحسان كثير من الفرنسيين ، وفي "انجلترا" كذلك جميع الذين عارضوا الحرب كانوا ملحدين ، وفي "روسيا" عندما وصل الملاحدة إلى الحكم أول ما فعلوه هو عقد الصلح "[1] .

وانتهى "راسل" إلى القول :" (...) أما ما أريد قوله هو أن جميع أنواع الإيمان تؤدي إلى الضرر " [2] ، رؤية واضحة ، وكلام صريح فيما بتعلّق بنظرة هذا الفيلسوف للدين ، وللعقائد الإيمانية إنها تؤدي إلى الضرر.

وإن هذا الضرر ناجم عن فقدان الإيمان للبراهين العقلية ، فالأمر هنا ليس متعلقا بالحديث على أن 1+1=2 أو أن الأرض كروية ، بل هو حديث عن العواطف،التي تحلّ أثناء الصراع ،حول العقائد الإيمانية ؛محلّ البراهين العقلية ، وإذا حلّت العواطف ، سقطت البشرية في فخّ الذاتية ، ووقع الصدام والصراع ، الذي سوف يخلق في نهايته الحرب [3].

والعواطف المستعملة في صراع العقائد الإيمانية ، تؤدي إلى التعصّب ، الذي من شأنه القضاء، على كل حرّية ممكنة للأشخاص ، والنتيجة النهائية؛ هي إنتاج الضرر الذي يظهر على شتّى الأنواع ، من الحروب إلى الاضطهاد والظلم ، إلى القتل ، والشواهد التاريخية على ذلك كثيرة .

---

[1] برتراند راسل : المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة ، مصدر سبق ذكره ، ص 190.

[2] المصدر نفسه ، ص 191.

[3] المصدر نفسه ، ص 191.

2. الحرية :

أكد "برتراند راسل" أن الحرية قضية تخصّ الإنسان وحده ، باعتباره الكائن الذي يمتلك عقلا ، بل وأكّد أنّ الإنسان رغم أنّه يعيش حياة وجيزة ، بفعل مصير الموتِ ، إلاّ أنّه يمتلك الحرية الكافية ، التي تمكّنه من النقد والمعرفة والإبداع ، وبفضلها فقط يمكنُه التغلّب على القوى التي لا تقاوم في هذا العالم [1].

إذن فالحرية مهمة بالنسبة له في حياة الإنسان ، فهي السبيل الذي يمكِّن الإنسان من تحقيق أشياء متعددة في حياته ، هي التي تساعده على الإبداع ، بل وبفضلها يمكنه التفوق على الطبيعة ، وتسخيرها لخدمة مصالحه، واعتبر أن أي محاولة للقضاء على هذه الحرية هو قضاء على الإبداع لدى الإنسان.

وأكّد أن التفكير الحر معناه:عندما يستطيع الإنسان منافسة غيره في الرّأي والمعتقد من خلال عرضه لآرائه دون إكراه خارجي ، أي دون أن يتم فرض أي رقابة وعلى عقوبة سواء كانت مالية أو قانونية أو دينية ، واعتبر أن أكبر أذى تسببه الأديان هو منع التفكير الحر، والذي يجعل الإنسان يفكر تحت الضغط الخارجي[2].

إن حرية الفكر من شأنها أن تفعل الكثير للإنسان ، من شأنها أن تساعده على البحث الدائم المستمر الذي لا يقف عند نقطة محددة :" (...) ومن حرّية أفكارنا ينبع عالم الفنّ والفلسفة، ورؤى الجمال ؛الذي عن طريقه في النهاية نقهر العالم المتثاقل " [3].

---

[1] برتراند راسل : عبادة الإنسان الحر ، تر: محمد قدري عمارة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط1 ، 2005 ص 11.

[2] برتراند راسل : مالذي أؤمن به ؟ ، المصدر السابق ، ص ص ، 154 ، 155 ، 156.

[3] برتراند راسل : عبادة الإنسان الحر ، المصدر نفسه ، ص 14.

إذن على الإنسان أن يفكر بحرية، رغم الضغوطات التي تواجهه في هذه الحياة رغم القيود ،التي تتحكم فيه على غرار الموت ، عليه أن يفكر بحرية ، عليه أن يعيش بحرية عليه أن يفعل ، أن يتكلم ، أن يأمل ويبحث بحرية ؛هنا تكمن حرية الإنسان الحقيقية : " ألا نعبد إلاّ الإله الذي نخلقه بمحبتنا للخير ، وألاّ نحترم إلاّ الجنّة التي تلهمنا أفضل لحظاتنا، في رغباتنا في أفعالنا ، يجب أن نخضع دوما لطغيان القوى الخارجية ولكن في الفكر، في الطموح نحن أحرار ، أحرار من إخواننا البشر ، أحرار من الكوكب التافه الذي ندبٌ عليه ، أحرار حتى عندما نحيا من استبداد الموت "[1] .

وانتهى المطاف به إلى اعتناق "الليبرالية"، مؤكدا أنّ الفرق بين النظرة الليبرالية وغير الليبرالية ، هو أن النظرة الأولى تؤكد أن كلّ الأسئلة تقبل النقاش ، وباب الحوار يكون دائما مفتوحا ، وكل الآراء قابلة للشكّ ، بما فيها المعتقدات الدينية ، أما النظرة الثانية فهي نظرة دوغماتية ، تؤمن أنّ هناك بعض الآراء التي لا تقبل النقاش ، ولا يتطرق إليها أدنى شك ، ولا يجوز مناقشتها [2].

تلك هي النسقية التي تميّز تفكير "راسل" من رفضه إلى المعتقدات التي تحجر الفكر وتدعو إلى التعصّب ، إلى دعوته للعقلانية ، التي تعمل وفق قواعد من بينها أن القضايا يجب أن تعرض على البرهان العقلي ، ولا تقبل قضية ما لم يستدل عليها ، ثم الدعوة إلى الحرية، والتي من شأنها أن تحقّق الأهداف السابقة ، كلٌّ شيء يقبل النقاش دون فرض قيد أو شرط ، المسيّر لعملية الحوار هو البرهان العقلاني السّليم ، وحينها يمكن للفكر البشري أن يحقق التطور الذي من شأنه أن يغيّر مصير الأمم.

[1] برتراند راسل : مالذي أؤمن به ، مصدر سبق ذكره ، ص 144.

[2] المصدر نفسه ، ص 183.

المطلب الثالث : الدين والتربية والأخلاق

1. التربية والدين :

كان "برتراند راسل" يؤمن إيمان عميقا بالإنسان كإنسان ، وبقدرته الكبيرة على تغيير العالم ، وتعميره ، وذلك من خلال كونه يمتلك المعرفة ، ويتسنى له فعل ذلك عن طريق التعليم ، والتربية ، التي هي عملية تحرير ثقافي لطاقات المرء الكامنة ، بتوضيح الأفكار وذلك عن طريق الفلسفة والعلم ، إنها فلسفة تربوية تحليلية ، ترفض إقامة أي مذهب ميتافيزيقي في المسعى التربوي على طريقة الفلاسفة "المثاليين" و"الطبيعين"[1]، ويجب أن يكون الفرد في الميدان التربوي غاية في حد ذاته ، لا وسيلة لبلوغ غاية معينة ، ذلك أنّه لو كان الفرد وسيلة ، لأن أهميته تنتهي بموته واندثاره ، بينما لو كان وسيلة لبلوغ غاية فإن صداه يبقى يتردد عبر الأجيال ، وعندما يكون الطفل غاية؛ يكون على المعلم أن يحب تلامذته أكثر من دولته أو كنيسته ، وبذلك يكون المثل الأعلى الذي نقتدي به [2].

وقد نقد "راسل" في هذا السياق كثيرا من الوسائط الدينية ، على غرار الكنيسة ، معتقدا أن الإيمان الديني يقوم على الخوف ، والخوف وسيلة للتقليل من الكرامة الإنسانية ومنه فاعتماد التعليم الديني ، هو خراب للمنظومة التربوية ، والدين يأمر المعلّمين بإغلاق عقولهم ، حيث لا يناقشون المعتقدات الدينية ، وإلا فقدوا وظائفهم ،وإن اقتضى الأمر قتلهم وعليه فالدين يفسد القيم العقلية ، كالتسامح والنزاهة والموضوعية،ويشجّع التعصب والتحيز[3].

---

[1] هشام محمد الشمري : فلسفة التربية عند برتراند راسل ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العراق ، العدد102 ص 654.

[2] برتراند راسل : في التربية ، تر: سمير عبده ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د ط ، د س ، ص 44.

[3] عيد المجيد عبد التواب شيخة ، شيخة عبد الله المسند ، برتراند راسل فيلسوفا ومصلحا ومربيا ، حوليات كلية التربية قطر ، العدد 12 ،1995 ، ص226.

يقول :" إن الشوق للإيمان الديني، كان بصورة حصيلة الخوف (...) فإنّ المحتاجين للإيمان يميلون للتفكير أنّ أنواعا معينة من الخوف،لن تكون مُحْتَجًّا عليها (...) والدين يجعلها تستأنف الخوف ، وتحطُّ من كرامة البشر [1].

إذن الدين وسيلة لعرقلة التعليم ، بل هو أداة لخراب المنظومة التربوية فهو يقيّدها ويضفي عليها صفات التحجر، والتحيّز والتعصب ، وتجعل المشكوك فيه صحيحا مهما سعى الإنسان إلى إثبات قصوره ،وهي صفات من شأنها أن تعيق أي تطور أو تحرّر عند المتعلم ؛ وهذا في النهاية يجعل من التربية وسيلة للتخلف،بدل التقدم يقول: " إن التأثيرات السيئة للتربية الدينية ، تعتمد جزئيا على التعاليم الخاصّة التي تُعَلَّم وجزئيا على مجرد الإصرار على أن مختلف المقترحات المشكوك فيها تعرف لتكون صحيحة" [2] .

إن التربية يجب أن تنمّي قدرات الفرد خاصة مسائل الذكاء ، وأكّد "راسل" أن رجال الدين ليسوا أذكياء : "إن أغلب الرجال المتدينين ليسوا الأغلب ذكاء ، فإن التربية الدينية تمنح الشجاعة للأبله ليقاوم سلطة الرجال المتعلمين " [3].

لهذا لا بد أن تكون التربية وسيلة للتحرر من هذه المعتقدات ، وبالتالي لا بد للمعلم أن يشجّع المتعلم على التعبير عن آرائه بكل حرية ، وأن يدعوه إلى التفكير المتحرر مهما كانت النتائج ، وأن يعمل على إنارة العقل، والموضوعية في طرح الأفكار بصورة حضارية ومتطورة [4] .

---

[1] برتراند راسل : التربية والنظام الاجتماعي ، تر: سمير عبده ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ط2 ، دس ص 105.

[2] المصدر نفسه ، ص107.

[3] المصدر نفسه ، ص 107.

[4] هشام محمد الشمري : المرجع السابق ، ص 658.

"لا ينبغي للتربية أن تشجع على الجزم والشك ، وإنما ينبغي أن تنمي اتجاهات ايجابية كالاعتقاد بأن المعرفة يمكن تحصيلها ، وأن ما يعتبر معرفة في وقت ما قد يكون خاطئا وحينما نسلك وفقا لمعتقداتنا يجب أن نكون على حذر؛لأن الخطأ قد يكون قاتلا "[1].

ويعتقد"برتراند راسل" أن:" هناك خلاف كبير بين الذين يتخذون من التربية وسيلة لتلقين عقائد معينة، وبين الذين يرون أنّ من واجب التربية غرس القدرة على الاستقلال في الحكم عند الفرد"[2] ؛ فالوظيفة الأولى تجعل من التربية، وسيلة للانهيار القيم الإنسانية بينما الوظيفة الثانية من شأنها أن تجعل من الإنسان فردا، فاعلا في المجتمع ، بل وفي الحضارة بأكملها .

2. الدين والأخلاق :

إن الأخلاق في نظر "راسل" مجموعة من مبادئ عام، تعين على تجديد القواعد التي يجري السلوك بمقتضاها ، فليس عمل الأخلاق بمعناه الفلسفي؛ هو أن تحدد للإنسان كيفية تقويم سلوكه في ظروف معينة ، لأن مثل هذا العمل هو من اختصاص رجال الدين من خلال الوعظ الديني ، وما إليه ، بل إن عمل الأخلاق يختلف باختلاف الزمان والمكان وباختلاف الجنس والعقيدة[3] .

ومنه فالقيمة الخلقية نسبية ، ليست ثابتة، بل هي متغيرة بتغير الزمان والمكان ،وهذا من شأنه أن يساعد الإنسان على تغيير سلوكه ، وتكييفه حسب مقتضيات الظروف ما يمكّنه في النّهاية من تحقيق التحرر .

---

[1] عيد المجيد عبد التواب شيخة ، شيخة عبد الله المسند ، المرجع السابق ، ص 232.

[2] برتراند راسل : في التربية ، المصدر السابق ، ص 14.

[3] مصطفى غالب : المرجع السابق ، ص 123.

وأكّد "راسل" صعوبة الفصل بين الدين والأخلاق ، ولكن لابد لها أن تسلك مسلك العلم الذي ناضل طويلا للتخلص من سلطة الكهنوت واللاهوت ، وقد وردت هذه الصعوبة عند كثير من المفكرين ؛ على أساس أن هناك كثير من المفاهيم الأخلاقية التقليدية لا يمكن تفسيرها إلا في إطار ما هو ديني ، أو على أساس هدف كوني ثابت ، وأكد كذلك أن تقديم التبريرات الدينية للأخلاق تفقد قدرتها على الإقناع [1] .

ففي الدين المسيحي مثلا : نجد أن أتباعه يسلمون تسليما مطلقا ؛ أنه لا أخلاق بغير إيمان،على اعتبار أن هذا الأخير هو التصديق اليقيني بالوجود الغيبي للإله ، وذلك عن طريق القلب ، ومادام غرض الأخلاق هو رسم الحياة الطيبة للإنسان ، فلا شيء يستطيع أن يحقق له هذا الغرض سوى الدين ، لأن الدين يبنى على الإيمان بإله قادر على كل شيء ، وليس صعبا عليه أن يوصل الإنسان للحياة الطيبة ، أما الابتعاد عن الدين فلا يصنع إلا أخلاق البؤس والشقاء ، وسيادة الشرور، كما أن الدين بأوامره ونواهيه يشمل كل المعاني الأخلاقية، التي تسعى إلى سعادة الإنسان ، من خلال أنّه يعزز في نفوس معتنقيه كل القيم التي من شأنها أن تصلح الفرد،والمجتمع على حد سواء [2] .

فالدين بكل محتوياته ، عبارة عن سرد لقصص العبرة ، أو مجموعة من الأوامر والنواهي ، تتجه إلى وضع الأسس والقواعد التي يقوم عليها السلوك البشري ، ومن شانه في النهاية أن يؤدي إلى الإصلاح على المستوى الفردي والجماعي ، وهو ما يحقق السعادة وهي الغاية التي يسعى الإنسان إلى تحصيلها، وهذا طبعا عند أتباع الدين المسيحي.

[1] برتراند راسل : المجتمع البشري في السياسة والأخلاق ، المصدر السابق ، ص 19.

[2] كريمة دورز : الأخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية ، مركز براهين للأبحاث والدراسات ، لندن ، ط2 2016 ، ص 55.

هذه المعطيات يرفضها "راسل" وحصر حجج المتدينين في فكرة واحدة مفادها (بدون الدين يصبح الناس أشرارا) وهي حجة غير مقنعة حسبه ، وتعرضت إلى الإنكار من طرف كثير من الفلاسفة على غرار "هنري سيدجويك" Henry Sidgwick * ، واعتبر أن النقطة السلبية والخطيرة، التي نشرها الدين في مجال الأخلاق ، هي تركيزه على نظام أخلاق ، قائم على فكرة "المحظور" الناتجة عن فكرة "القداسة"، والتي تؤدي إلى نتيجة مفادها أن :"نبذ العقائد الدينية يؤدي إلى انهيار الأخلاق" ، وأكّد "راسل" أن هذه الفكرة منعدمة في مجتمع حديث متحرر ، لأن الأخذ بها يقضي على التفكير في المستقبل ، وكلما تقدّم المجتمع خطوة نحو الأمام قلّ الحديث عن المحظور ، وابتعدت الأخلاق عن الدين بصورة تدريجية ، إلى أن تصل إلى الصورة النهائية [1].

فالدين ليس مصدرا للأخلاق ، بل إن مصدرها هو الإنسان ، فـ:" راسل" رغم إلحاده إلاّ أنه يؤمن بالإنسان ، لهذا فإنه :" لوضع فلسفة أخلاقية لا شك سنعتمد على الرغبة التي ستقف لا محالة وراء تصرفاتنا ، التي تتميز بصوابها الموضوعي فتكون حسنة وتدفعني إلى العمل على تدعيم الخير العام ، بطبيعتها الذاتية ، وليس بفضل النظام الاجتماعي ، هذا الأخير من شأنه أن يمنحها طابعا إلزاميا " [2].

إذن فمنبع الأخلاق الأساسي هو الإنسان عن طريق الرغبة ، وليس الدين كما يعتقد معظم المسيحين ، وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى .

---

* 1838 – 1900 فيلسوف أخلاقي انجليزي ، درس في جامعة "كمبردج" ثم درّس فيها الفلسفة الخلقية وبالتحديد في كلية "الثالوث" من سنة 1875 ، 1883 ، وشهرته تقوم أساسا في كتابه :"مناهج الأخلاق " الذي ظهر سنة 1874 ، اعتنق مذهب المنفعة عند "مل" ربط بين السعادة الشخصية والسعادة العامة . أنظر (عبد الرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة ، ج2 المرجع السابق ، ص 54)

[1] برتراند راسل : المجتمع البشري في السياسة والأخلاق ، المصدر السابق ، ص22.

[2] سمير بلكفيف وآخرون :الفلسفة الأخلاقية من سؤال المعنى إلى مأزق الأجراء، منشورا ضفاف ، بيروت ، دار الأمان الرباط ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ،2013 ، ص357.

ثم اتجه "راسل" إلى إثبات دور الرغبة في تكوين الأخلاق ، فالإنسان بطبعه عنيدٌ ومندفع ، إلى درجة الجنون والدليل على ذلك:الحروب الكثيرة التي تؤدي إلى الكوارث هذه الحياة الاندفاعية ، هي التي تعطي للوجود الإنساني نكهته ، فلا بد من المحافظة على هذا الوجود، ومحاولات تهذيبه قدر المستطاع ، وهنا تنبعث الحاجة إلى الأخلاق والتي تقوم على الرغبة [1].

وبالتالي فإن أساس الأخلاق ليس الدين ، وإنما هم الشعور والإحساس لدى الإنسان شعور بالتحفيز والاندفاع نحو العمل ، وإحساس بالاكتفاء والاستمتاع ، وهنا تراعى مصلحة الفرد ، ومصلحة الجماعة [2].

المبحث الثالث : برتراند راسل والمسيحية (لماذا لست مسيحيا؟)

أردنا أن نختم هذا الفصل ، والمتعلّق بفلسفة الدين عند "راسل" بعلاقات هذا الفيلسوف مع بعض الديانات خاصة الدين المسيحي، والحديث في هذا المبحث ، سيكون تقريبا استنتاجيا ، فقد وقفنا في كثير من المحطات؛ على نقاط صراع كثيرة لهذا الفيلسوف مع الدين فلا شك أن القارئ لهذه السطور، سيتنبأ مباشرة، ودون أدنى شك بطبيعة هذه العلاقة والتي ستكون مبنية على الصراع؛ انطلاقا من النظرة المزدرية التي لطالما وجهها للدين، فهو لا يتلاءم مع الفلسفة،(وفي الفصل الثالث سيظهر أنه لا يتلاءم مع العلم)، ولا يجوز ربطه لا بالتربية ولا بالأخلاق ، لأنه مصدر الشرور، التي تقع فيها البشرية وأساس التخلف، وكل المجتمعات التي وقفت ضدّه ، استطاعت أن تحقّق التقدم في المَدَنية والقيم ، وتتجه نحو مسايرة الرّكب ، فكيف انتقد "راسل" المسيحية ؟

[1] برتراند راسل : المجتمع البشري في السياسة والأخلاق ، المصدر السابق ، ص09.

[2] سمير بلكفيف : المرجع السابق ، ص 358.

المطلب الأول : وجود الله

في مقال شهير له بعنوان :"لماذا لست مسيحيا؟" يؤكد :راسل" رفضه للمسيحية لأسباب متعددة ، هي أنها ديانة تؤمن بوجود الله والخلود ، كما أنّها تعتبر أن المسيح خير البشر ، وهذا ما يعارضه ؛ فأما معارضته لوجود الله : فقد تناقشت الكنيسة حول هذه القضية مع العقلانيين زمنا طويلا ، وأعدم الكثير بسبب هذه المناقشات، واهتدت الكنيسة في الأخير إلى ضرورة وضع دلائل عقلية على وجود الله، وهي دلائل غير مقنعة على غرار :برهان المسبب الأول [1]، الذي يقول عنه :" ربما كان البرهان الأسهل والأبسط للفهم هو برهان المسبِّبِ الأول ، يؤكّد هذا البرهان أنّ كلّ شيء نراه في العالم له سبب وكلّما عدت إلى الخلف في سلسلة الأسباب أبعد فأبعد، يجب أن تصل إلى المسبب الأول وللمسبب الأول تعطي اسم الله "[2].

نفهم من هذا أن العقائد المسيحية تؤمن أن: الله هو العلّة الأولى لجميع الأشياء على اعتبار أنّها ترتبط جميعها مثنى مثنى، في صورة العلّة والمعلول ، أي أنّ كل شيء في هذا الكون له سبب في حدوثة ، ومهما كان نوع هذا الشيء ، ويعترض "راسل" على هذا – كما بينا سابقا– في أن الله هو الآخر يحتاج إلى سبب في وجوده ،ما يدفعنا إلى طرح السؤال الغريب والخطير في الوقت نفسه ، من الذي أو جد الله ؟ وهو سؤال – كما ذكرنا– انتبه إليه في تقليبه لصفحات كتاب :"سيرة ذاتية" للفيلسوف الانجليزي "جون ستيوارت مل " وهكذا فإنّ هذا البرهان لا يصمد أمام الشكّ بل يتزعزع ، ممّا يؤدي إلى هدمه نهائيا وهو غير مقبول من الناحية الموضوعية .

[1] برتراند راسل : مالذي أؤمن به ؟ ، مصدر سبق ذكره ، ص 64.

[2] المصدر نفسه ، ص 64.

وبالتالي :" إذا كان يجب أن يكون لكل شيء علّة ، فيجب أن يكون للإله علّة مثله مثل باقي الأشياء ،وإذا كان من الممكن وجود أي شيء ليس له علة ، فمن الممكن أن يكون هذا الشيء هو:العالم كما يمكن أن يكون الله أو اي شيء آخر، لذا فلا شرعية لهذا البرهان" [1] إنّها براهين خرافية كباقي البراهين ، التي يقدّمها رجال الدين، ويقدّم "راسل" في هذا السياق مثالا توضيحيا لبطلان برهان المسبب الأول ، فمثلا عند "الهندوس" العالم يوجدعلى ظهر الخيل ، والخيل توجد على ظهر السلحفاة ، لكن أين توجد السلحفاة ؟ هذا هو السؤال الأساسي ، الذي لا يجيب عنه "الهندي" بل يغيّر الموضوع مباشرة [2] ، اعتبارا لهذه المعطيات فإن برهان المسبب الأول الذي قدمته الكنيسة ، كمخرج لها من إشكالية وجود الله واستعمال البراهين العقلية أثبت بطلانه ، إذا ما سلّمنا بأن لكل شيء سبب ، فلا بد أن يكون لله سبب ، وهذا ما لم يستطع رجال الدين إثباته .

وعندما اتضح بطلان هذا البرهان، اتجهت الكنيسة نحو براهين أخرى على غرار برهان القانون الطبيعي ، وكان لهذا البرهان تأثير كبير جدا وحضور قوّي، خاصة في القرن الثامن عشر (18)،تحت تأثير نظرية نشوء الكون للعالم الانجليزي " إسحاق نيوتن" *Isaac Newton ومفاده أن :" الكواكب تدور حول الشمس تبعا لقوانين "الجاذبية" ، وأن الله أعطى أمرا لهذه الكواكب أن تتحرك بهذا الشكل " [3] .

---

[1] برتراند راسل : مالذي أؤمن به؟ ، مصدر سبق ذكره ، ص 65.

[2] المصدر نفسه ، ص 65.

* 1642-1727 ولد يوم الكريسماس في انجلترا ، وهي نفس السنة التي توفي فيها الفلكي الإيطالي المعروف "غاليلو غاليلي" Galilée في الحادية والعشرين (21) ، من عمره أرسى كل أسس النظريات التي زلزت العلم يعتبر أول من اهتدى إلى أنّ الضوء مكوّن من كل ألوان الطيف ، كما أنّه درس قوانين انعكاس الضوء وانكساره ، صنع أول "تليسكوب" عاكس سنة 1668 ، وأعظم اكتشافاته كلّها ؛ اكتشاف قوانين الحركة والجاذبية العامة التي غيّرت مجرى العالم ، والنظرة إلى نشوء الكون . ينظر(مايكل هارت : الخالدون المئة ، دار الرشاد للنشر والتوزيع ، الجزائر ، د ط د س ، ص 15 ، 16)

[3] برتراند راسل : المصدر نفسه ، ص 65.

ولقد اتجه " نيوتن" إلى الاعتقاد أن هذا الانسجام الكبير، والدّقة اللاّمتناهية الموجودة في الكون ، لا ترجع إلى الصدفة؛ بل إنّ هناك تخطيط كبير، وحكمة عظيمة مصدرها الله فقد كتب عن الحيوانات والإنسان والمجرّات ، وكانت تذكّره دائمًا بالحكمة الإلهية المطلقة وأنّ الذرّات والقوانين الميكانيكية ، مهما كان سحرها ، فهي لاشيء أمام معرفة الخالق[1].

واعتبر "راسل" أن الشروح التي قدّمها "نيوتن" شروح بسيطة ، تجعل الإنسان يتوقف عن البحث عن تفسيرات أعمق وأدق لقانون "الجاذبية" ، وبالتالي هناك كثير من القوانين الطبيعية من وضع البشر، بالإضافة إلى أنّها إحتمالية ، كونها تقوم على نتائج تقريبية مثل الذي يرمي حجر "النرد"، ليحصل على رقم معين[2] .

وبالتالي فإن :" فكرة أنّ القانون الطبيعي يتطلب مشرعا،هي نتيجة للخلط بين القوانين الطبيعية، والقوانين الإنسانية ، القوانين الإنسانية: تأمرك بأن تتصرّف بشكل محدد، حيث يمكنك الاختيار ، ولكن القوانين الطبيعية هي: وصف لكيفية سلوك الأشياء في الواقع ولا تستطيع أن تجادل في وجوب وجود شخص قد أمرها بأن تفعل ذلك " [3].

ففي الميدان البشري يمكنك أن تَسْتَدِلَّ على هذه القوانين ، لأنّ الأمر واضح للعيان ولا يحتاج إلى مناقشة ، أمّا في ميدان القوانين الطبيعية ، فلا يمكن الاستدلال على أن هناك شخص معين مهما كانت صفته ، أمر الطبيعة أن تسري وفق هذا النظام آو ذاك النظام لأنها تفتقر للملاحظة الموضوعية .

---

[1] جيل كريستيانيس : إسحاق نيوتن والثورة العلمية ، تر: مروان البواب ، مكتبة العبيكان ، السعودية ، ط1، 2005 ص 36 ، 37.

[2] برتراند راسل : مالذي أؤمن به ؟ ، مصدر سبق ذكره ، ص 66.

[3] المصدر نفسه ، ص67.

ثم اتجه "راسل" للتشكيك في هذه القوانين بصفة كلية ، وطرح في نفس السياق سؤالا محيرا : لماذا فرض الله هذه القوانين الطبيعية وليس غيرها ؟ وفي محاولات البحث عن إجابة لهذا السؤال ، سوف نجد كثيرا من الظواهر لا تخضع لقانون ، وهذا يؤدي إلى كسر سلسلة القوانين الطبيعية ، وإن كان هناك سبب لوضع قوانين الطبيعة مثل العالم الأفضل كما يعتقد "اللاهوتيون" ؛ فإن الله نفسه يجب أن يخضع للقانون لأنّه الأفضل ، ولا شيء يثبت بأنّ الله يخضع لقانون ، وعليه لا فائدة من تقديم الله كوسيلة لوضع القوانين الطبيعية[1].

وهناك براهين أخرى لا يسعنا المقام لبسطها، وهي البراهين التي قدّمها من أجل أن يهدم الأسس التي قام عليها هذا الدين ، خاصة الأساس الإيماني ، الذي يدعو الناس إلى التقوى دون أيّ نقاش ، وهذا ما يوقع الفرد في ظلام قاتل ، وتخلف فكري سلبيّ.

المطلب الثاني: عيوب التعاليم المسيحية

وانتهى "برتراند راسل" إلى تعداد عيوب التعاليم المسيحية وهي عيوب كثيرة ومتنوعة جعلت الإنسان في نهايته يبقى رهين الدغماتيات القاتلة ، التي وقفت أمام تطوره وتقدمه ولم تستطع هذه الديانة أن تخلق له مجالا يدعوه إلى التفكير الحر، مجال يمارس فيه إنسانيته على اعتبار أنّه كائن عاقل ، يستطيع بعقله أن يتحرر ، بل كثيرا ما تسعى إلى قمعه واضطهاده ، ومحاولات جعله يفكر في حدود الدين :" إن الكنيسة قاومت التقدم السياسي بنفس المرارة التي قاومت به التقدم الفكري ، وحاولت من خلال ذلك تدريس مذاهب جامدة، وتقنيات لا مجال لمقاومتها "[2] .

[1] برتراند راسل: مالذي أومن به ؟ ، المصدر السابق ، ص 67.

[2] علي عبود المحمداوي وآخرون : الفلسفة الغربية المعاصرة ، ج1 ، المرجع السابق : ص 575.

ولعل أهم عيوب التعاليم المسيحية ؛ تبدأ من التاريخ المسيحي ، فكلّه كذب ، لاشيء يثبت وجود "المسيح"، حتى وإن وجد هذا الكائن فلا شيء نعلمه عنه ، وعند الرجوع إلى الكتاب المقدس ، نجد أن شخصية "المسيح" لا ترقى إلى مستوى النبوة ، ولا إلى الحكمة البشرية ، فهو شخص لا صلة له بالأخلاق ، كونه يؤمن بالجحيم ، وليس من الموضوعية الإيمان بشيء لا يصدقه العقل ، والإيمان بالعذاب الأبدي يجعل من رجال الدين رجالا حاقدين ، يستعملون وسائل الترهيب المتاحة ، في مواعظهم ، مما يقضي على حسن الخلق والابتعاد عن الاعتدال والحكمة في مناقشة المخالفين [1].

إنّها تعاليم جلبت الوحشية للعالم، والمسيح هو المسؤول ولو بشكل جزئي، على ذلك وأمام ذلك يقول "راسل":" (...) يجب أن أقول أن كلّ هذا التعليم ، أي نار جهنّم ، عقوبة الخطيئة هو تعليم وحشي ، جلب الوحشية إلى هذا العالم ، وقدم لأجيال العالم تعذيبا وحشيا والمسيح كما هو في الأناجيل ، إذا أخذناه كما يقدّمه مؤرخوه ، سوف يكون بالتأكيد مسؤولا بشكل جزئي عن هذا " [2].

وبهذا لم يعد "راسل" يؤمن بعدم وجود الله فقط ، بل كل ما يتبع هذا الإيمان من الجنة والنار، والحياة بعد الموت، والخطيئة ، والخلود ، كلها تعاليم فارغة من المحتوى ، هدفها التضليل أمام محاولات الإنسان فهم واقعه في هذا العالم ، لهذا علينا أن نبيّن خطرها ، وأن ندعو الإنسان بكل استطاعتنا للتخلص منها ، والغريب في كتابات "راسل" السابقة يبدو أنّه يملك من الحقد الشيء الكثير للتعاليم الدينية ، خاصة المسيحية ، وهو حقد متولد من اعتقاده أن الأديان كلّها سبب الشقاء الذي تعيشه البشرية ، بل هي سبب الحروب وكل الشرور الموجودة في العالم ، لذلك علينا أن نحاربها.

[1] برتراند راسل : مالذي أؤمن به : مصدر سبق ذكره ، ص ص 74 ، 75 ، 76.

[2] المصدر نفسه ، ص 75.

المطلب الثاني : اللاّأدرية Agnosticism

"اللاّ أدرية" مذهب يقوم على التشكيك في كل شيء ، خاصة العقائد الدينية ، والقضايا الغيبية ، واعتبر "اللاّ أدريون" أن مثل هذه القضايا غير محددة ، ولا يمكن الوصول إليها ولا نعرف عنها شيئا ، كونها غامضة ؛ فمثلا الله هو المطلق الذي لا نعرف عنه شيئا وبالتالي لا ندري هل هو موجود أو غير موجود؟ و"اللاأدري" لا يتخذ موقفا على ذلك ويترك السؤال مفتوحًا[1] .

هذا التيار يعتقد بأن وجود الله، وأصل الكون، وكلّ العقائد الغيبية التي يبحث فيها المتدينون أمور لا سبيل إلى معرفتها، فهي تتناول قضايا لا معنى لها؛ فكلمة "اللاأدري" على اشتقاقها اللغوي ، تعني بلا دراية أو علم ، ويبدو أنّها تختلف عن الإلحاد، فالإلحاد يدّعي أن الله غير موجود بينما يدعي مذهب "اللاأدرية "بأنّه لا يمكن إثبات وجود الله أو لا توجد أدلة على وجوده، ولكن في الوقت نفسه ،لا توجد طريقة أو أدلّة لإثبات عدم وجوده، ويبقى السؤال معلّقا ولكن رغم ذلك يقتربون كثيرا من الإلحاد بمجرد تشكيكيهم في العقائد الإيمانية.

ويرى "برتراند راسل" أن "اللاأدريين" غير ملحدين ، بل الملحد هو المسيحي ومن شابهه فالمسيحي يرى أنّه يمكن أن نعرف أن الله موجود ، وغير المؤمن يرى العكس ، بينما "اللاأدري" حكيم في هذا ، نجده يعلق الحكم على أساس أنه لا توجد أسباب كافية للتأكيد أو النفي[2] ، ومنه يبدو أن " اللاأدرية" تلقى القبول عند "راسل" ، معتبرا فيها قوة إيمان تتميّز بالحكمة ، التي تجعله لا يصدر الأحكام، ولا يتسرع في وضعها ، بل يعلّقها حين لا توجد أسباب كافية تؤكدها .

---

[1] André Compte Sponville : Ibid, p52.

[2] برتراند راسل : مالذي أؤمن به ؟ ، مصدر سبق ذكره ،ص 109.

ويؤكد "ويل ديورانت" Will Durant (1885 -1981) في كتابه "قصة الحضارة أن بدايات "راسل" مع الرياضيات هي التي أدت بصورة ضرورية وحتمية إلى "اللاأدرية"، والشك خاصّة فيما يتعلق بالديانة المسيحية ، باعتبارها ديانة تعتمد على الإيمان ، وتقتل حرية الأفراد و"اللاأدري" رجل حرّ لا يؤمن بالآلهة الوهمية، ولا العقائد الخرافية ، بل إنّه يطرح التساؤلات دائما ، ولا يتوقف عن البحث بنفسه، عن مثل هذه المعطيات للتدليل عليها بصورة موضوعية[1] :" (...) يرى "اللأدري" أنّ الإنسان يجب أن يبحث عن أجوبة لأسئلة السلوك بنفسه، بالطبع يسعى للاستفادة من حكمة الآخرين ، ولكن عليه أن يختار بنفسه ، أولئك الذين يراهم حكماء ، ولا يعتبر ما يقولونه مسلّما به " [2].

وفي هذا الصدد سيظهر دور الذوق الفطري ، الذي أكّدت عليه "الواقعية التحليلة" عموما والذي يعد "راسل" من أهم أقطابها، حيث أن ما يدركه الإنسان بذوقه الفطري أساس للصدق والحق ، فلو لاحظنا الذوق الفطري يرى شيئا ، وعلم اللاهوت يرى شيئا آخر فالصحيح عنده هو ما يراه الذوق الفطري [3].

إذن "اللا أدري" حسب "راسل"يفعل ما يرضيه ، هو إنسان حر ، يرى في الكتاب المقدس أنّه محض أساطير مثل أساطير "هوميروس"Homère ، وهو لا يؤمن بوجود الله ، ولا يعتقد أن يسوع هو "الله" ،ولا يؤمن بالخلود ، ولا حياة بعد الموت ، ولا يعتقد أن هناك دليل على المعجزات الكونية التي يعتقد بها "اللاهوتيون" ، وكل الأديان ، والمعتقدات اللاهوتية ،والكتب المقدسة ضربمن الخرافة ، وفي النهاية علينا عبادة الإنسان الحر.

[1] ويل ديورانت : قصة الحضارة ، تر: فتح الله محمد المشعشع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط6 ، 1988، ص 586.
[2] برتراند راسل : مالذي أؤمن به ؟ ، المصدر السابق ، ص110.
[3] مصطفى غالب : المرجع السابق ، ص 51.

ثم إنّ" العقائد لاسيما حيت تكون قديمة ، ومنسقة في منظمات لها أثر عظيم في تأخير التغيرات المرغوبة ، في الرأي ، وفي تأثيرها في الناس في جعلهم يتجهون نحو الخطأ (...) إن أوضح حال فيما يتعلق بالتاريخ ، ينشأ عن العقائد التي قد تدعى دينية أو خرافية (...) ولقد كان من المعتقد أن التضحية الإنسانية تحسّن المحاصيل ، أوّلا لأسباب سحرية صرفة ، وثانيا لأنّ دم الضحايا كان يُظَنُّ أنّه يَسُرُّ الآلهة ، وقد قرأنا في العهد القديم أنّه : من الواجب الديني أن نسحق الأجناس المهزومة تماما (...) لقد كان الجمود والأهوال، وعثرات الحظ المظلمة تسود الحياة العقلية ، ولكنّها لم تصل إلى نموها الكامل حتى انتصار المسيحية " [1]، فالعقائد الدينية مهما تطورت وبلغت تقدمها هي مصدر للخرافة والأسطورة ، والانحدار في الحياة البشرية ، تؤدي إلى الجمود ، والتخلف وما جاورها ، بل وإنّها تؤدي إلى سيادة الأهوال ، المتعلقة بالكوارث التي تصيب الحياة البشرية، وبالتالي إذا أردنا التقدم ، علينا التخلي عنها.

إن هذه النظرة هي نظرة كل "الفلاسفة الوضعيين" ، بما فيها " الوضعية المنطقية " فمثلا نجد :" ألفرد جولس آير" *Alfred Jules Ayer يدعو إلى إقصاء المعرفة الدينية من كل تعاملات الإنسان ، وأنّ وجود الإله يجب أن يقوم على مفهوم البرهان لا الإيمان وليست هناك وسيلة لإثبات وجوده ، وعليه كل ما يتعلق بهذه المسائل أمر نفسي ، فالقول بالخلود والروح وغيرها ، هو أمر نفسي يسعى صاحبه لإقناعنا بما اقتنع به هو إيمانيا [2] .

---

[1] برتراند راسل : بحوث غير مألوفة ، المصدر السابق ، ص 153 ، 154.

* 1910 – 1989 من الوضعيين الجدد ، عمل أستاذا للميتافيزيقا في جامعة "أكسفورد" Oxford وهي أعرق الجامعات في البلدان الناطقة بالإنجليزية ، اكتسب شهرة كبيرة من خلال كتبه ، وأبرزها "اللغة والصدق والمنطق" سنة 1938 ، وقد حاول البحث في المشكلات الفلسفية على غرار نظرية المعرفة ، من موقف وضعي .ينظر (روزنتال يودين وآخرون : المرجع السابق ، ص 69)

[2] أحمد رافع : الأخلاق واللاهوت من وجهة نظر الوضعية المنطقية ، مجلة الإنسان والمجال ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المركز الجامعي نور البشير ، البيض ، الجزائر ، العدد 5 ، أفريل2017 ، ص 241.

نتائج الفصل :

مما سبق تحليله نستنتج مايلي:

- شكّل موضوع الدين واحدا من اهتمامات "راسل" ، خاصة وأنّه عاش في عصر استفاد كثيرا من منجزات "عصر التنوير" ، والذي تميّز بكثير من الحرية الفكرية، والثورة على تعاليم الدين .
- رغم أن بدايات "راسل" مع الدين كانت إيجابية ؛ حيث أخذ الشيء الكثير من تعاليم الأسرة التي كانت تعرف بتديّنها الشديد ،إلا أنه انقلب على عقبيه ، حيث صارت نظرته للدين فيما بعد نظرة سلبية .
- كان المنطلق الأساسي لرفض "راسل" للمعتقدات الدينية ، هو ثورته الكبيرة على الفلسفات المثالية ، خاصة "الهيجلية" التي عرفت بحرصها الشديد على الأخذ بالدين وتعاليمه .
- كانت ثورة "راسل" على كل ما له صلة بالدين ، سواء معتقدات أو خرافات أو أساطير حتى على رجال الدين الذين اعتبرهم انتهازيين ، كونهم يستعملون أسلوب التخويف والترهيب وهذا لا يمت بصلة للأخلاق.
- توجّه "راسل" في هذه القضية كان عقلانيا ، فهو من أنصار الحرية الفكرية والتي من شأنها أن تساعد الإنسان على التقدم والتطور .
- يرفض "راسل" أي صلة بين الفلسفة والدين ، فالفلسفة تتميز بالحكمة التي تقود الإنسان إلى معرفة هذا العالم معرفة سليمة ، بينما الدين أوقعه في الظلمات .

الفصل الثالث

جدلية العلم والدين عند برتراند راسل

تمهيد

المبحث الأوّل : الصراع بين العلم والدين في الفكر الغربي

المطلب الاول : قبل العصر الوسيط

المطلب الثاني : الحقبة الوسيطية

المطلب الثالث: ما بعد الحقبة الوسيطية

المبحث الثاني : آراء برتراند راسل حول علاقة الصراع بين العلم والدين

المطلب الأول : أسباب الصراع بين العلم والدين

المطلب الثاني : مظاهر الصراع

المطلب الثالث: نتائج الصراع

المبحث الثالث : الصوفية والمنطق

المطلب الأول : مدخل موجز إلى التصوف

المطلب الثاني : نظرية المنطق

المطلب الثالث: من المنطق إلى علاقة التصوف بالعلم

نتائج الفصل الثالث

تمهيد :

لاشك أن إشكالية العلاقة بين العلم والدين ، هي إشكاليةٌ معقدة ، يأتي ذلك من خلال الجدل القائم حول الفصل أو الوصل بين الظاهرتين ، فهي تارة علاقة تجاذب ، وتارة أخرى علاقة تنافر ، لهذا لقي الموضوع حظه الكبير من الاهتمام لدى المفكرين، ودار حوله نقاش حاد ، وصل إلى حدّ الاضطهاد والقتل ، وقد عرفت هذه الإشكالية أوجّ تقدمها وتطورها في الحضارة الغربية الأوروبية، ابتداء من "القرون الوسطى"، أين بسطت الكنيسة سيطرتها على الحركية العامة، لهذا سيكون محور دراستنا للعلاقة الجدلية بين العلم والدين هو التركيز على الحقبة الوسيطية في أوروبا ، وسيكون التحليل قائما على الدين المسيحي ، وعلى علاقة الكنيسة بالعلم ؛ لأن الفكر الفلسفي الديني عند " راسل" سيكون متمركزا حول الإجابة على السؤال الجريء :" لماذا لست مسيحيا ؟"، وكان تركيزنا على الفكر الغربي الأوروبي دون غيره؛ لأنّ محور دراستنا في هذا البحث هو المفكر الغربي "برتراند راسل" ، فلا شك أننا سنجد تطور الإحداث حول القضية تنعكس على فكر هذا الفيلسوف في نظرته إلى العلاقة بين العلم والدين ،وبشيء من التحليل المبسّط فإنّ قراءتنا لنظرته للعلم ، ولنظرته للدين ، تجعلنا نقول مباشرة أن هذا الفيلسوف جعل العلاقة بين العلم والدين علاقة صراع " – لهذا سميناها جدلية – وعليه سيكون ميلنا نحو تحديد معالم الصراع بين العلم والدين وفق الأسئلة التالية :

- هل استطاع "راسل" أن يتجاوز الطرح التقليدي القائل بدور الدين في بناء الحضارة ؟

المبحث الأول: الصراع بين العلم والدين في الفكر الغربي

في الحقيقة إن هذا الطرح لم يكن وليد العصور الوسطى ، بل امتد إلى فترات سبقت هذه العصور ، كما أنّه لم يتوقف عند حدود هذه الحقبة ، بل تجاوزها إلى فترات لاحقة حتى القرن العشرين (20)، وهو القرن الذي نال فيه "راسل" شهرته الواسعة ، بكتاباته الجريئة في هذا المجال .

المطلب الأول : قبل العصر الوسيط

يرجع المؤرّخون تكوّن الجماعات المسيحية،إلى القرن الأوّل والثاني والثالث للميلاد وهذا معروف تاريخيا، على أساس أنّه يؤرخ للتاريخ الميلادي ، بظهور "المسيح"، وأثناء هذا النشوء كانت المسائل العلمية غريبة جدّا عن ذهن المتدينين، لهذا لم يكن الاهتمام بها موجودا ، فلقد تمركز النشاط الفكري، لهذه الجماعات حول البحوث الدينية ، المرتبطة باللاّهوت والأسطورة ، وكانت وسيلتها "الوحي الإلهي" ، وموضوعها دور الله في التاريخ فشكّل حينها "يسوع" الموضوع الرئيسي ، وقد ظهرت عقيدته في صورة اللاّمبالاة حيال المعارف الايجابية المتعلقة بالعلم ، وراحت تركّز على مشكلة الخلاص ، وصكوك الغفران والخلود ، وغايات الإنسان الأخيرة [1] .

إذن هذه الحقبة في طور النشوء ، فلربّما ماتزال يافعة ، تبحث عن الأصول والقواعد الأولى لهذا الدين ، فتلقائيا كانت المسائل العلمية غائبة ، وربّما أنّ الخطاب الديني كان يحتاج إلى بحث مطوّلٍ ، وإلى تفسير لما ورد فيه ، حتى يعرف الإنسان موقع العلم من هذا الخطاب ، لهذا كان الاهتمام منصبا على ما يميل إليه هذا الخطاب ، نقصد الأمور اللاّهوتية المتعلقة بالغيب ، وعليه لم تتضح بعد معالم الصراع بين العلم والدين.

[1] جورج مينوا : الكنيسة والعلم (تاريخ الصراع بين العقل الديني والعقل العلمي)، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ط1 ، 2005 ،ص 27.

وبالتالي فإن المسيحين الأوائل كانوا بعيدين تماما عن المعارف الدنيوية ، وبالعودة إلى الحملات التبشيرية التي قادها رجال الدين المسيحي، على غرار القديس المعروف في تاريخ المسيحية بالقديس "بولس"Paul of Tarsus (والذي يعرف بـ:"بولس الرسول" أحد قادة الجيل المسيحين الأوائل ، بعد "يسوع")؛ نجد كثيرا من الخطابات تحتقر الدراسات الدنيوية، وتدعو إلى الابتعاد عنها، فالعقيدة المسيحية هي عقيدة للحبّ والإيمان ، هي عقيدة لا تعيش إلا الحياة الإلهية ، لا ترتبط إلا بالأمور الغيبية، وفي ظلّ هذه القناعات ظهر ما يسمىّ: "الجهل المقدس" ، وهو معارض تلقائيّا لكبرياء العلماء، وسعيهم الدائم إلى البحوث القائمة على الموضوعية، وإن لم يكن صريحا [1].

وهنا بالذات سوف تظهر بوادر الصراع، مادامت الحملات التبشيرية تدعو إلى الارتباط بالغيبيات، ومعرفة خبايا اللاّهوت ، وحاجات المقدس ، كان عليها أن تحتقر الدنيويات التي تعتبر عراقيل في وجه هذه المعرفة ، ثمّ إنّ العلم مجموعة من الأبحاث والدراسات التي ترتبط بظواهر الحياة ، والتي تسعى إلى التفسير السببي للظواهر الطبيعية ، وهو تفسير يقوم على المنهج التجريبي،المعتمد على الملاحظة الحسية ، وإن كانت هذه الدراسات تبدو منعدمة ، حتى وإن وجدت لا تصل إلى مستوى الدراسات العلمية ، التي عرفت أوجّ تقدمها وتطورها في "عصر النهضة" ، حيث تميزت بالموضوعية ، ومن هنا لابد من الناحية الضمنية أن تعارض الكنيسة هذه الأبحاث ، بل يجب أن تحاربها حتى وإن لم تصرح بذلك[2] "فقد غابت الاهتمامات العلمية لدى مبشري الدين المسيحي الأوائل ، ولبث موقف هذه الجماعات المسيحية مناهضا للمنحى الفكري ، وممهورا باحتقار حقيقي للثقافة " [3].

---

[1] جورج مينوا : الكنيسة والعلم ، مرجع سبق ذكره ، ص 28.

[2] المرجع نفسه ، ص 40.

[3] المرجع نفسه ، ص 40.

واتجه مجموعة من الدارسين إلى القول : أنّه بالعودة إلى "الحضارة اليونانية"؛ نجد أنّ العلم لم يكن في صراع مع الدين ، أي بين المعتقدات الخرافية الأسطورية ، المتعلقة باللاّهوت، والعلم بالمعنى المعروف ، أي مجموعة المعارف الوضعية التي أنتجها الإنسان حيث أن فلاسفة اليونان بذلوا جهدهم في الرّفع من شأن العقل ، وتقوية أسسه ودعائمه من خلال توضيح الدور الكبير، الذي يلعبه في الكشف عن مكنونات الطبيعة ، ونتج عن ذلك ظهور نوع من السموّ في العقل ، وصار جديرا بالصفات الإلهية ، ولكن بقي الإله رئيسا للطبيعة ، ذلك هو الدين الفلسفي [1].

ومعظم هذه الأبحاث كانت سابقة عن الكنيسة ، وليست غائبة عنها ، بل هناك أبحاث علمية أخرى معاصرة لها، ومنها ما جاء بعد ظهور الدين المسيحي ، هذا الأخير الذي نصّب نفسه دينا عالميا ، سيصل الحضارة اليونانية لا محالة ، على اعتبار سرعة الانتشار التي عرفها بعد نموّه ، خاصة مع تركيزه على الروحانيات ، وبالتالي فهذا الدّين وصل الحضارة اليونانية ، وحتى الكنيسة تعرّفت على العلم اليوناني ، والذي كان مرتبطا بالفلسفة باعتبار هذه الأخيرة كانت تسمى :" أمّ العلوم" ، وبالتالي ظهر ذلك الارتباط بين العلم والدين فيما أصطلح عليه "الدين الفلسفي" ، ولكن اعتبر كثير من الدارسين هذه النظرة خاطئة ، فقد كانت المسيحية تنظر إلى العلم اليوناني نظرة عداء ، خاصة العلم اليوناني القديم ، رغم أنّ القاسم المشترك بين المسيحية ، والعلم اليوناني هو الحقيقة ، إلا أنّ هذه الحقيقة مازال العلم اليوناني يبحث عنها ، وصارت متنوّعة ، في كل حقبة تظهر مصادر جديدة في حين يفترض أنه في المسيحية، قد انتهينا من مشكلة الحقيقة ، وصارت واضحةً جليّةً ، ويكفينا الرجوع إلى "يسوع" للإطّلاع عليها ، إنّها ثابتة ومطلقة تتجلىّ في الله ، وخلاصِ العالم [2].

---

[1] إميل بوترو : العلم والدين في الفلسفة المعاصرة ، تر: أحمد فؤاد الأهواني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة د ط ، 1973 ، ص6 .

[2] جورج مينوا : المرجع السابق ، ص 73.

المطلب الثاني : الحقبة الوسيطية

لقد تعرّض العصر الوسيط * منذ القرن السادس عشر (16) لعدّة حملات ، تحمل بين طياتها انتقادات كثيرة متعددة ، ومتنوعة للتركيبة المجتمع الأوروبي من الناحية الفكرية لقد وصف بعصر الظلام The Age of Darkness ؛على اعتبار أنّه فكر غارق في ظلمات الكنيسة ، هذه الأخيرة تولّت شؤون الحياة من التفكير، والتعبير والإنتاج حتّى إن رجال الكنيسة احتكروا الفلسفة، وجميع العلوم [1] .

هذا الاحتكار جعل أوروبا تقع في تخلف كبير، خاصّة من الناحية الفكرية ، حيث ارتبط كل شيء بالدين ، هذا الأخير الذي بني على الخرافة والأسطورة ، مما شجّع في النهاية على تجميد النشاط الاجتماعي، وتشجيع ثقافة الإقطاع والسيطرة :" قامت الحياة الاجتماعية والسياسية في أوروبا خلال العصور الوسطى على سلطة دينية كنسية ، شبه مطلقة ، كانت بمثابة السند الثقافي للسلطة الإقطاعية آن ذاك" [2] .

ومادامت السلطة الكنسية متميزة بالإطلاق ، فهي مقدسة ، وكل شيء يسير على نهجها وفي دائرتها، هي المسيطر على كل شيء، ولا فكر ديني يقبل النقاش ، الإيمان والصمت في حدود الله ، وكل فكرة تكون مضادة للنصوص المقدسة تعتبر فكرة باطلة ، بل وهي فكرة لابدّ من محاربتها بكل الطرق المتاحة ، حتى بحد السيف، وقد كان من تبعات هذا رفض كثير من الانجازات الفكرية خاصة على مستوى العلم والفلسفة .

---

* أو القرون الوسطى في التاريخ الأوروبي هي التسمية التي تُطلق على الفترة التي امتّدت من القرن الخامس حتّى القرن الخامس عشر الميلادي .

[1] إتين جيلسون : روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط3 ، 1996 ، ص 15.

[2] محمد عبد النور : جدلية الفصل والوصل بين الدين والعلم في الفكر الغربي ، دورية نماء ، مركز نماء للبحوث والدراسات،مصر، العدد 3 ،2017 ،ص 88.

فمثلا هناك من أنكر تماما وجود ما يسمى بالفلسفة المسيحية ، لأن هذه فكرة متناقضة في ذاتها؛ على اعتبار أن الفلسفة والدين مختلفان تماما من حيث الجوهر ، وبالتالي صعوبة الجمع بينهما ، فإذا كان جوهر الفلسفة هو العقل ، فإن الدين مستقل تماما عن هذا الجوهر فهو مرتبط بالوحي[1] ، وامتد هذا الأمر إلى العلم في حدّ ذاته ، وهذا الامتداد خلف صراعا كبيرا بين الكنيسة من جهة والمشتغلين بالعلم من جهة أخرى ؛ صراع ناتج عن اكتشافات موضوعية ، أثبتت كثيرا من النظريات ، التي ساهمت في زعزعة أسس التعاليم الدينية لدى "يسوع" ،صراع امتد قرونا طويلا؛ خلّف وراءه الكثير من النتائج السلبية على جميع المستويات ، وفي الحقيقة إنّ العلم يقوم على المنهج التجريبي ، و"المنهج التجريبي قام كسند رمزي مهمّ ضمن مسار التخلص من الاستبداد الكنسي الذي قاده المدرسيون* ، لمدة طويلة فقد تحالف "المدرسيون" مع الإقطاعيين **، على غالب الشعوب الأوروبية " [2].

[1] إتين جلسون : المرجع السابق ، ص 28.

* تطلق المدرسية Scholasticism على التعليم المدرسي الذي نشأ ، ونما في المدارس الكنسية والجامعات الأوروبية في القرن العاشر (10) والقرن السابع عشر (17) للميلاد ، وأهمّ الصفات التي يتميز بها هذا التعليم ارتباطه بعلم اللاهوت ، ويعد القديس "توما الإكويني" d'Aquin Thomas (1225– 1274) أهم ممثلي هذا التعليم . ينظر (جميل صليبا: المعجم الفلسفي ، ج1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، د ط ، دس،ص 359) .

** اقتنت الكنيسة أموالا تم الحصول عليها في عصر سبق عصر الإقطاع ، حيث كانت الكنيسة الروحية هي المسيطرة وكادت سيطرتها تفوق سلطة الدولة ، لكن رغم ذلك لم يستطع النظام الإقطاعي رغم قوته وسيادته ، وسيطرته داخل الدولة تجاوز الكنيسة ، بل على العكس من ذلك ، اتخذ منها وسيلته لفرض هيمنته ، وصارت الكنيسة هي الأخرى إقطاعية واستطاعت أن تطبع الدين بطابع هذه العلاقة ، فعملت على ترسيخ مبادئ الإقطاعية ، وبالتالي تمجيد حياة الزهد والتقشف والنهي عن التمتع بجمال الحياة ، وتسخير النفس لخدمة الخير والله ،ودعت الناس إلى تعذيب النفس وحرمانها ، استعدادا لنعيم الآخرة ، وذلك بغرض حمل الشعب على قبول الاستغلال الإقطاعي دون نقاش . ينظر (نيفين ظافر حسيب الكردي الأوضاع الدينية والسياسية ، والاقتصادية والاجتماعية ، في الغرب الأوروبي من القرن التاسع إلى القرن الحادي عشر رسالة قدمت استكمالا لمتطلبات الحصول على شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي ، إشراف : رياض مصطفى أحمد شاهين ، الجامعة الإسلامية ، غزة (فلسطين)، 2011، ،ص 9)

[2] محمد عبد النور : المرجع السابق ، ص 88.

لهذا كانت معاداة الكنيسة للعلم منطلقة من فطنة أهله للممارسات الاستغلالية ،التي كانت تفرضها الإقطاعية على شعب مغلوب عليه ؛ إذ وجدت في الدين المسيحي ما يمكنها من التغلغل إلى السلطة ، وفرض السيطرة ، وخدمة مصالح عدد قليل من الناس .

وبالمقابل كان كثير من السادة يمنحون هبات كثيرة للكنيسة، وبتعبير آخر يقدمون الاقطاعات للكنيسة ، طالبين البركة والغفران ، والنجاة من النّار ، ودخول الجنة وكان الكاهن يمنحهم صكوك الغفران ، فهو بمثابة الوسيط الروحي بين العبد وربه [1].

وقد كان المنهج التجريبي حلاّ مناسبًا ، وموضوعيا للكشف عن تجاوزات الدين في هذا الصدد ، وتجاز هذه الخزعبلات وهذه الاستغلال ، وما كان على الكنيسة إلا تحريم عدد من الانجازات التي قدمها العلماء ، وصلت حدّ الاضطهاد والنفي ، وحرق الكتب بل وأكثر من ذلك تجاوزت إلى إعدامهم وقتلهم.

وصار المفكرون تبعا لهذه التطورات يؤكدون أن: الخصومة بين العلم والدين بلغت في "العصر الوسيط" مبلغا عظيما ، بل لا يوجد أكبر من هذه الخصومة كتلك التي شهدها هذا العصر، حتى عند الحفر في تاريخ الأديان والفكر ، لا توجد أكبر حرب قامت بينهما كتلك التي شهدها في ذلك الزمن هذا العصر [2] .

وصار "اللاهوتيون" يؤمنون بفكرة واحدة ثابتة ، لا تقبل الجدل :" العلم لا يجب مطلقا أن يبشّر بشيء فيه أقلّ مخالفة لظاهر النص ، أي ما جاءت به "الأسفار المقدسة " والمتون ورسائل الحواريين " [3] .

[1] نيفين ظافر حسيب الكردي : المرجع السابق ، ص 10.

[2] أندرو ديكسون وايت : بين الدين والعلم (تاريخ الصراع بينهما في القرون الوسطى ، تر: إسماعيل مظهر ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر ، د ط، 2014 ، ص 19.

[3] المرجع نفسه ، ص 19.

طبعا وأهداف الكنيسة متعددة هو الحفاظ على استقرار الشعوب ، وعلى تخديرهم ، ومنح قوة للدين المسيحي تتجاوز حدود المعقول ، إنها ذاتية مفرطة، جعلت كثيرا من المفكرين خاصة العلماء ، يقفون على سذاجة هذا الدين ورعونته .

المطلب الثالث:مابعد الحقبة الوسيطية

ومن بين الاتهامات التاريخية التي تبيّن صراع العلم والدين ، ذلك الاتهام التي وجهته الكنيسة للعالم البولندي ، صاحب الاكتشافات العلمية الدقيقة ، في عصر النهضة" (القرن 14 إلى القرن 17)"نيقولا كوبرنيكوس" Nicolaus Copernicus *؛ على أنّه كفر وخروج عن تعاليم الدين المسيحي ، فقد توصّل من خلال أبحاثة الشهيرة ، في إطار علم "الفلك" أنّ الشمس هي مركز الكون ، والأرض تدور حولها في مدار ثنائي ، فهي تدور حول نفسها ليتشكّل اللّيل والنهار ، وحول الشمس اقترابا، وابتعادا لتتشكّل الفصول الأربعة ، وهنا نزل الإنسان من مكانته المقدسة ، التي أعطاها له الكتاب المقدس[1] ؛ فقد كان من بديهيات علم فلك الكتب المقدسة :" عندما خلق الرب الأرض منحنا السيادة الصريحة عليها ، وأمرنا أن نكون منتجين ، وأن نتكاثر لنملأ الأرض ، ونخضعها لنا ، وهو بالتأكيد لم يمنحنا السيادة على السماء ، بل على النقيض تماما ، ومع ذلك وضع الأجرام السماوية لمنفعتنا وتوجيهنا (...) إننا نسكن أرضا مركزية بالنسبة للكون لا تتحرك ، ومن حولها تدور الأجرام السماوية ومن بينها الشمس [2].

* 1473- 1543 ، عالم فلك ورجل دين بولندي ، سافر إلى "إيطاليا" ، وقد درّس طويلا في "روما" ابتداءا من سنة 1500 ، ثم عاد إلى بلده الأصلي "بولندا" ، وكانت أشهر نظريته العلمية ، المعتمدة على المنهج العلمي ، نجد : دوران الأرض حول الشمي. ينظر (أيوب أبو دية : العلم والفلسفة الأوروبية الحديثة من كوبرنيك إلى هيوم ، دار الفرابي ، بيروت ط1 ، 2009 ، ص95)

[1] أندرو ديكسون وايت : المرجع السابق ، ص 95.

[2] وليام تي فولمان : وداعا نظرية مركزية الأرض ، تر: أسامة فاروق حسن ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر ط1 ، 2015 ، ص 126.

فالإنسان سيد الكون ، وهو يقف على الأرض الثابتة، التي تعتبر مركز الكون وبهذا صارت الأرض جرم سماوي عادي، يدور حول الشمس مثله مثل الأجرام السماوية الأخرى ، هذا ما أقلق الكنيسة ، لأنّه جاء بما هو معاكس لما ورد في الأسفار ، وعندما نشر ما توصل إليه "كوبرنيكوس" بعد وفاته ، اتهم بالكفر والخروج عن تعاليم الدين المسيحي وهذه صورة من صور الصراع بين العلم والدين ، حيث أن الاكتشافات العلمية يجب أن تسير في حدود الكتاب المقدس ، وكل اكتشاف خارج عن تعاليم الدين ، يعتبر كفرا لهذا فإن "كوبرنيكوس" سَلَّمَ أبحاثة لأحد "بابوات" الكنيسة ممّن هم ثقة ، خوفا من الاضطهاد الذي يصله من طرف الكنيسة ، لهذا على القارئ أن يتصور حجم الصراع الذي كان قائما بين العلم والدين ، فهو ليس صراع فكري فقط ، بل امتد إلى جميع المجالات حيث إن سيطرة الكنيسة فرضت منطقها على السير العام .

وهناك صراع آخر بين العلم والدين في هذا العصر ، وكان بالتحديد بين (جاليلو جاليلي) *Galilée ، والكنيسة الكاثوليكية ؛انتهى بالحكم عليه بالإعدام، وترجع البداية عندما تبنى "جاليليو" إثبات نظرية "كوبرنيكوس" ، والتي كانت تفيد بمركزية الشمس بدلاً من مركزية الأرض، فقد كان السائد أن الأرض هي مركز الكون، و آمنت بتلك النظرية الكنيسة الكاثوليكي، لمدّة 12 قرن، وجعلت مجرد التشكيك في هذه النظرية كفراً، وعندما اخترع "جاليليو" "التليسكوب"، وأثبت صحة نظرية "كوبرنيكوس"، مخالفاً بذلك ماتؤمن به الكنيسة ، إعتبرته الأخيرة على أنّه مهرطق مجنون يدعو للثورة عليها ، فحكمت عليه بالإعدام، لكن أثناء محاكمته ردّد شعارات توحي بالندم ، فحكم عليه بالإقامة الجبرية [1].

* عالم أيطالي ، والمسؤول الأول عن تطوير المناهج العلمية ، ولد بمدينة "بيزا" ودرس في جامعاتها ، ثم حصل على وظيفة مدرس سنة 1589 ، أشهر تجاربه ، سقوط الأجسام ، حيث وضع قواعد رياضية تصف حركة سقوط الأجسام وسرعتها ، ثم اكتشف قانون "القصور الذاتي " مفاده أن الجسم يبطئ في حركته ، إلاّ إذا تدخلت قوى أخرى ودفعته على الحركة . أنظر(مايكل هارت : المرجع السابق ، ص 39)

[3] أيوب أبو دية : المرجع السابق ، ص ص 127 ، 128 ، 129)

هذه صورة أخرى تبين استمرار الصراع ما بين العلم الدين حتى "عصر النهضة" وسواء حكم على العلماء الذين اكتشفوا نظريات مخالفة لما في الكتاب المقدس ، بالإعدام أو بالإقامة الجبرية أو بالنفي، إلاّ أن كلّ هذه التطورات تثبت في نهايتها الصراع الذي كان قائما بين هذه المؤسسات الدينية والعلماء، وهو الصراع الذي أدّى في كثير من الأحيان إلى التخلف ، وانهيار البنية الاجتماعية ، والدليل على ذلك قيام كثير من الحركات الإصلاحية بل والثورات ، التي نادت بالحد من الاضطهاد ضدّ العلماء.

اعتبارا لهذه الأحداث ، شُوِّهَت صورة الكنيسة على مرّ التاريخ ، فصارت رمزا للتخلف والاضطهاد، وأساسا للجهل والخرافة ، بل وإنّها مصدر للجهل ، ومحاربة للعلم والتقدم والعقلانية ، لقد فتحت الباب على مصرعية لكل صور الإلحاد الممكنة ، والدعوة إلى محاربة ظلمات الدين ، والاتجاه نحو التنوير ، لهذا ظهر ما يسمى بـ:"عصر التنوير " * ، والذي كان هو النتيجة المعبرة عن تلك المعركة، التي قامت بين الدين والعلم في "العصور الوسطى" فصار يعني العقلانية والتقدم والتطور العلمي ، وعليه أصبحت جدلية العلم والدين عنوانا لحركة التنوير [1] .

---

* مصطلح التنوير مصطلح غربي أوروبي ، نشأ في ظروف عاشتها أوروبا ومن فلاسفته نجد:فولتير" Voltaire (1694–1778)"ديدرو" Denis Diderot (1713–1784) و"جونجاك روسو" Jean–Jacques Rousseau (1712–1778) ، وكان ذلك في القرن الثامن عشر (18) ، حيث كان ثقافة الشعوب لا تتجاوز حدود التفكير الكنسي ، وكانت السيطرة الثقافية والعلمية لرجال الكهنوت ، وفي هذا العصر بدأت تجسدت الثورة الحقيقة والكاملة على سلطة الكنيسة ، وظهر الانتصار للعقل والعلم ، إنّه عصر التحرّر الفكري ، يريد أن يخلص البشرية الأوروبية وغير الأوروبية من ظلمات "العصور الوسطى" ، وكان "عصر النهضة" هو العصر الذي مهّد فعلا لعصر "التنوير" بداية مع حركة "الإصلاح الديني" المعروفة تاريخيا ، والتي كانت بقيادة "الرّاهب الألماني "مارتن لوثر" Martin Luther (1483– 1546) .ينظر (هاشم صالح : مدخل إلى التنوير الأوروبي : دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ط1 ، 2005، ص ص 140 إلى144).

[1] محمد السيد الجليند : فلسفة التنوير بين المشروع الإسلامي والمشروع التغريبي ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ، دط ، 1994 ، ص 15 ، 16 .

وبالتالي لم يتوقف الصراع بين الدين والعلم عند حدود الحقبة الوسيطية ، بل استمر إلى ما بعدها ، هذا الاستمرار يؤكد تعقّد العلاقة التي قامت بين العلم والدين ، العلاقة التي انتصرت في بدايتها للنصوص المقدسة ؛ حيث بسطت الكنيسة سلطتها على الحركية العامة (كما سبق وأشرنا إلى ذلك) ، لكن بعد "عصر النهضة" وحركة "الإصلاح الديني" سارت الأمور عكس التيار ، حيث انقلبت رأسا على عقب ، فظهر الانتصار للعقلانية والعلم على حساب الكهنوت ، وسواء سيطر الدين، أم سيطر العلم ؛ فالمهم هو بقاء تلك العلاقة الجدلية ، والصراع الدائم بين العلم والدين .

ثم وصل الصراع إلى الحقبة الحديثة ، واستمر الوضع كذلك حتى القرن العشرين (20) لأن :" الخصومة بين العلم والدين ، ستظل قويّة متصلة ماقام العلم ، وما قام الدين لأن الخلاف بينهما أساس جوهري لا سبيل لإزالته ، ولا إلى تخفيفه ، إلاّ إذا استطاع كل واحد منهما أن ينسى صاحبه نسيانا تاما ، ويعرض عنه إعراضا مطلقا " [1] .

وعليه فإن الصراع بين العلم والدين ، لم يتوقف عند حدود"الحقبة الوسيطية" كما لم يبدأ معها ، لقد امتد حتى "عصر النهضة"، و"الحقبة الحديثة" ومع "عصر التنوير" ، وهاهو هذا الصراع يستمر ليصل إلى القرن العشرين وما بعده ، فهو صراع أزلي أبدي – إن صح تعبيرنا– ، ومن معالم الصراع ما ذهب إليه الفيلسوف ، الأمريكي المشهور"جون ديوي" John Dewey* .

---

[1] محمد كامل خطيب وآخرون : حرية الاعتقاد الديني (مساجلات الإيمان والإلحاد منذ عصر النهضة إلى اليوم) ، دار بتر للنشر والتوزيع ، دمشق ، ط1 ، 2005 ، ص 115.

*1859– 1952 فيلسوف أمريكي ، من روّاد الفلسفة البراغماتية ، كان له تأثير كبير في الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم الجمال ، وعلوم التربية مؤسس مدرسة (شيكاكو الذرائعية) ، وتعرف البراغماتية عنده بالاداتية ، فالفكر ما هو إلا أداة لخدمة الحياة ، منهجه تجريبي ، من مؤلفاته الأساسية نجد : المدرسة والمجتمع سنة 1899 ، الخبرة والطبيعة سنة 1952 الفن كخبرة سنة 1930 ، المنطق نظرية البحث سنة 1983 .(روزنتال يودين وآخرون : المرجع السابق ص 215)

حيث رفض كل أشكال الأديان المطلقة ، تلك الأديان التي تتعالى على الطبيعة البشرية واعتبر هذه الأديان من بقايا العصر ما قبل العلمي ، علينا أن نتخلّ عنها ، في سبيل العلم إنها متحجرات اجتماعية ، علينا محاربتها؛ وتبعا لهذا كوَّن فلسفته انطلاقا من هذه الجدلية فكانت فلسفته الطبيعية في صراع مع المعتقدات الميتافيزيقية ، خاصة الدينية ، إنها فلسفة لا تؤمن إلا بكل ما هو محسوس ، خاضع للتجربة العلمية[1]:"إن أمر العلاقات بين العلم والدين ، حين يراقب في ثنايا التاريخ ، يثير أشد العجب فإنه على الرغم من تصالح الدين والعلم مرة بعد مرة (...) لم يبرح العلم والدين قائمين على قدم الكفاح ، ولم ينقطع بينهما صراع "[2].

ذلك هو الصراع التاريخي بين العلم والدين ، صراع لم يتوقف منذ أمد بعيد ، حاول كلّ واحد منهما الانتصار على الآخر ، أو تدميره ، أو الحد من تجاوزاته وتهذيبه ، وربما يكون الحفر الذي استعملناه ، يمثل وجهة نظر ما ، فقد يجد البحث حفرا آخر في قضية الصراع بينهما ، وعلينا أن لا نجزم أن العلاقة بين العلم والدين ، هي علاقة صراع على الدوام بل هناك كثير من وجهات النظر حاولت التقريب بينهما ، لأنّ الدين يشجّع الأبحاث العلمية لخدمة العقيدة، وشرح كثير من النصوص التي جاءت في الكتب المقدسة ، وباستقراء تاريخ الأديان سنجد محاولات متنوعة حاولت التقريب بينهما، فكان الدين دافعا للتطور العلمي والعكس صحيح في هذا السياق ، فلطالما أثبت العلم كثيرا من معطيات الكتاب المقدس فكان خادما له في كثير من نصوصه الإيمانية، وكان تركيزنا على صراع الكنيسة والعلم لأننا سننتقل إلى نظرة "راسل" إلى العلاقة الجدلية بين العلم والدين،وسينصب نقده على الكنيسة ، الممثلة للدين المسيحي ، والدليل على ذلك مقاله المشهور :"لماذا لست مسيحيا ؟"

[1] علي عبود المحمداوي وآخرون : فلسفة الدين ، المرجع السابق ، ص 232 ، 233.

[2] إميل برترو : المرجع السابق ، ص 271 .

وهو المقال الذي تحدثنا عنه سابقا ، والذي أثبت فيه "راسل" هشاشة الدلائل الإيمانية المسيحية انتهت بها إلى كونها عقائد خرافية ، لا صلة لها بالواقع ، ثم ركزنا على "أوربا" لأن "راسل" من "انجلترا" وهي دولة أوروبية ، وانتهينا في تحديدنا لجدلية العلم والدين عند حدود القرن العشرين ، لأنه القرن الذي برزت فيه أفكار "راسل" المتنوعة بروزا قويا جعله فيلسوف القرن العشرين بحق، وهنا برزت نظرته إلى الدين عامة ، وإلى العلاقة الجدلية التي تحكم الدين والعلم .

المبحث الثاني :آراء برتراند راسل حول علاقة الصراع بين العلم والدين :

يعتبر "راسل" فيلسوف متعدد الإنتاج ، فهو لم يتوقف عند حدود المنطق والرياضيات بل كتب في مجالات عديدة ومتنوعة ، هذا التنوع جعل قضية العلاقة بين العلم والدين من القضايا الهامة في تفكيره ، ويظهر اهتمامه بها ، في كونه خصّص مؤلفا بأكمله من أجلها كان عنوانه " الدين والعلم" ، وإن الإطلاع السريع على آرائه فيما يخص المعتقدات الدينية سيأخذنا دون أدنى شك إلى نظرته لهذه العلاقة ، فهي علاقة تقوم على الصراع .

المطلب الأول : أسباب الصراع بين العلم والدين

العلم والدين من منظور "راسل" ظاهرتين اجتماعيتين متقابلتين ، هذا التقابل حسبه مبني على الصراع، ستكون نتيجته الانتصار للعلم لا محالة ، ولكن يعترف "راسل" أنه عند الرجوع إلى الوراء قليلا – وهو الذي عاش في القرن العشرين – أي إلى حقب قديمة سنجد أن مكانة الدين ارتفعت على العلم كثيرا [1].

[1] برتراند راسل : الدين والعلم ، تر : رمسيس عوض ، دار الهلال ، مصر ، د ط ، دس ، ص3.

وفي تبيانه لارتفاع مكانة الدين على العلم نجده يخصّ حديثه بايديولجيات ظهرت وبسطت سيطرتها في العالم ، على غرار" الشيوعية" و " النّازية " حيث اعتبرهما عقيدتين مثلهما مثل المسيحية ، لكن استخدمتا العلم في عمليات التبشير ، وهو ما ساعد على تقويتهما ، ولكن في الوقت نفسه ، شوّها صورة العلم في مقابل الدين [1] ، فقد ابتعد العلم عن أهم أهدافه، وهو الموضوعية ، وصار وسيلة لنشر ايديولجيات ذاتية ، وصار في خدمة الدين ، مما ساعد على ارتفاع مكانة هذا الأخير ، وسقوط مكانة العلم .

فمثلا عندما سئل "راسل" عن الشيوعية ، وعلاقتها بالدين ، هل الشيوعية تعارض الدين؟ أجاب :" الشيوعية لا تعارض الدين ، بالكاد تعارض المسيحية ، كما يعارضها الدين المحمدي ، الشيوعية على الأقل في الشكل الذي تبناه الدولة "السوفياتية" ، والحزب الشيوعي هي نظام دوغما جديد ، يمارس الاضطهاد بشكل واسع، لذلك كل لاأدري أصيل يجب أن يعارض" [2] .

إذن فهذه المعتقدات قد حطّت من قيمة العلم ، ورفعت من شأن الدين على حسابه هذا ما جعل العلم والدين ، وجهان للحياة الاجتماعية متقابلان ، تبنى علاقتهما على الصراع وهذا في الزمن السابق، وفي الحقبة المعاصرة التي عاش فيها "برتراند راسل ".

ولعل أهم أسباب الصراع بين العلم والدين حسب "راسل" هو الفروق الكبيرة ، والشرخ المعرفي الواسع الموجود بينهما ، فالعلم هو :" محاولة عن طريق الملاحظة وإعمال العقل القائم على هذه الملاحظة لاكتشاف الحقائق الخاصة بالعلم ، ثم اكتشاف القوانين التي تربط هذه الحقائق بعضها ببعض[3] .

---

[1] برتراند راسل : الدين والعلم ، مصدر سبق ذكره ، ص3.

[2] برتراند راسل : مالذي أؤمن به؟ ،المصدر السابق ، ص 121 ، 122.

[3] برتراند راسل : الدين والعلم ، المصدر نفسه ، ص 3

فهدف العلم هو الوصول إلى القوانين الموضوعية التي تحكم الظواهر ، من خلال جملة من البراهين، المبنية على الملاحظة الدقيقة ، وذلك يُمَكِّنُنَا من الكشف عن الأسباب التي تحكم الظواهر ، ومن ثم الإطّلاع على حقيقتها ، وهذا في حدّ ذاته يحقّق التنبؤ بالمستقبل "والعلم في الحالات التي يصادف حسن الحظ ، يجعل من الممكن التنبؤ بأحداث المستقبل "[1] ، وهذا ما لا يمكن أن نجده في الدين ، ففي الدين لا يمكننا استعمال الملاحظة الدقيقة ، كما أنه نبتعد كثيرا عن الموضوعية ، واستحالة إثبات كثيرة من القضايا (كما سبق وأشرنا إلى ذلك)،.وهذا يؤدي إلى الصراع بينهما.

كل هذا جعل "راسل" يعتقد أن الدين ظاهرة أكثر تعقيدا من العلم ، ويرجع سبب التعقيد إلى ثلاث مظاهر: سلطة الكنيسة ، والعقيدة ، والسلوك الأخلاقي الفردي ، وهذه المظاهر تغيرت أهميّتها عبر العصور والأزمنة ؛ فالأديان القديمة عند اليونان، والرومان القدامى قبل أن تصبح أخلاقية، بواسطة "الرواقية" Stoïcism لم يكن لديها أشياء كبيرة تقولها فيما يتعلق بالأخلاق الفردية، ومع "الإسلام" مكان العبادة كان دائما له أهمية قليلة بالنسبة للسلطة الزمنية، وفي "البروتستانتية "حدث تغير في عقيدة المتشددين ، وأصبح لديهم نزعة للتغيير، وانتهى إلى أنّ هذه العناصر الثلاث ضرروية بالنسبة للدين على اعتباره ظاهرة اجتماعية ، بل إنّها مظاهر أساسية في الحرب التي يشنها الدين على العلم ،وفي حديثه عن العقائد ، اعتبرها "راسل" منبعا فكريا أساسيا ، بل وهي السبب في الصراع بين العلم والدين ، خاصة في علاقة العلم مع الكنيسة ، ذلك أنّ كل من يبث شكوكه فيما يخص العقيدة ، يضعف سلطة رجال الكنيسة ، كما يضعف مداخيلهم ، بل ويقوّض صرح الأخلاق وعليه إنّ آباء الكنيسة لديهم مبررات قوية ، للخوف من العقائد الثورية لرجال العلم[2].

[1] برتراند راسل : الدين والعلم ، مصدر سبق ذكره ، ص 3.

[2] المصدر نفسه ، ص 4، 5 .

فالإنسان كلمّا شكّك في العقيدة ، شكّك في القواعد الأساسية التي تقوم عليها الديانة المسيحية ، والعلم وسيلة للوصول إلى نتائج سليمة ، من شأنها أن تشكّك في هذه العقائد اعتبارا لهذا تتبع "راسل" منطق "هيوم" في معالجة هذه الإشكالية ، والذي حاول الكشف عن الظواهر المختلفة الخاصة بالإنسان عن طريق العلم ، بما فيها الظواهر الطبيعية ، وهذا خلافا للرؤية المسيحية التي تعتمد على عقائد خاطئة ، وانتهى إلى أن الدين هو الذي يضرّ بالأخلاق في بعض النواحي ، وليس العلم ، كون الدين يبنى على قواعد غير سليمة لا برهان لها ، ولا تصطنع لنفسها "الاستنتاج العلي" [1] .

ومن أسباب الصراع بين العلم والدين ما قاله "راسل":" إن العقيدة الدينية تختلف عن النظرية العلمية؛ في أنّها تزعم أنّها تجسّد الحقيقة الخالدة واليقينية ، بصورة مطلقة في حين أن العلم غير نهائي على الدوام ، ويتوقع ضرورة إدخال التعديلات على النظريات الحالية عاجلا أم آجلا ، فضلا عن أنّه يدرك أن طريقته من الناحية المنطقية قادرة على الوصول إلى براهين كاملة ونهائية" [2] .

فالعقيدة دينية تزعم أنها تمتلك الحقيقة المطلقة ، الأزلية والأبدية ، والتي لا يتطرق إليها أدنى شك ، وهو ما لا يقبله "راسل" طبعا ،لأن توجهه يبنى على الشكّ ، هذه المزاعم جعلت العقيدة تعطّل أي صورة من صور التقدم ، في حين أن العلم يقوم على تعديل نظرياته كلما اكتشف حقائق جديدة ، وبالتالي إن كل نظرية علمية تؤكد أن منهجها غير قادر على البناءات البرهانية النهائية ،وهذا كلام منطقي .

[1] محمد فتح علي خان : فلسفة الدين عند ديفيد هيوم ، تر: حيدر نجف ، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، العتبة العباسية المقدسة (كربلاء) ، د ط ، 2016 ، ص ص 6 ،8،7.

[2] برتراند راسل : الدين والعلم ، المصدر السابق ، ص 10.

المطلب الثاني : مظاهر الصراع

في كتابه "الدين والعلم" " يتحدث "برتراند راسل" كثيرا عن علاقة الكنيسة بالعلم، ويسعى في كثير من صفحاته إلى استجلاء نقاط الصراع بين الإيمان المسيحي ومكتشفات العلم محاولا في هذا الصدد تدعيم براهينه الأساسية ، التي سعى من خلالها إلى تقويض الصرح الذي قام عليه الدين بصفة عامة ، والمسحية بصفة خاصة ، من أجل تبيان الدور الذي لعبته الأديان في تخلف الشعوب ، وهو في نفس الصدد يكمل الإجابة المتعلقة بالسؤال : لماذا لست مسيحا ؟

بالرجوع إلى العالم المسيحي يؤكد "راسل" أن الصراع بين العلم والدين كان قويّا في الماضي والحاضر ، وقد اتخذ شكلين بارزين ، الأول منطلقه هو "الإنجيل" فمثلا عندما نأخذ منه نصا يؤكد واقعة محددة ، كقولنا الأرنب البرّي يجتر طعامه ، هذه الواقعة تدحض عن طريق الملاحظة العلمية الدقيقة ، ما من شأنه أن يحرج أولئك الأشخاص الذين يؤمنون أن كل كلمة في الكتاب المقدس ؛هي وحي ربّاني صادق ، وبهذا يصبح "الإنجيل" دون أهمية؛إذ أنّه لا يمثل سلطة علمية ، بل يتوقف عند حدود السلطة الدينية والأخلاقية ، أمّا الشكل الثاني، فيصبح فيه الصراع أقوى وأعمق ، خاصة في سعي العلم إلى إثبات خطأ مسلمات مسيحية مهمة ، مثل "وجود الله" ، أو تصورات فلسفية يعتقد "اللاهوتيون" أنّها ضرورية للعقيدة [1]، على غرار البراهين التي قدمها "هيجل" وأتباعه فيما يخص فلسفته للدين والذي اعتبر أن فلسفة الدين لا يمكنها أن تعارض الدين الوضعي ، ولا عقيدة الكنيسة بل هي ضرورية من أجل التأويل العقلاني ، والتصدي للحملات العنيفة ضد دين الكنيسة وعلى رجال الكنيسة اجتناب الخجل في استخدام التأويلات العقلية ، للمعتقدات الدينية بل عليهم تقبل فكرة أن عقيدتهم عقلانية ، تقوم على براهين استدلالية قوية ، وذلك من أجل

[1] برتراند راسل : الدين والعلم ، المصدر السابق ، ص 4 ،5.

الدفاع عنها ، والتصدي للحملات العنيفة ضدها ، وفي النهاية الفلسفة لا تحارب الدين بل تحاول التأسيس له تأسيسا حقيقيا ، يجعله يقوم على أسس ودعائم قوية[1] .

إذن فمن مظاهر الصراع بين الدين والعلم ، هو صراع الكنيسة والعلم ، الصراع الذي اتخذ شكلين ، أخطرهما هو سعي العلم إلى إثبات قصور كثير من المسلمات التي قامت عليها العقيدة المسيحية .

ويعود "راسل" إلى "العصور الوسطى" لاستجلاء مظاهر الصراع ، واعتبر أن القديس "توما الإكويني" يمثل أهم حلقات الصراع ، باعتباره المحامي المعتمد للعقيدة ، وهي العقيدة التي كان العلم ملزما بالتصدي لها ، مؤكّدًا أن هناك من العقائد المسيحية ما يمكن برهنته عن طريق العقل، دون اللجوء إلى الوحي ، ومن بين هذه الحقائق نجد "وجود الله" ومن صفاته القدرة والرحمة ، وهي التي تجعله في النهاية يوضّح كل أوامره ونواهيه للإنسان ومنه كل ما نريد معرفته موجود في الكتاب المقدس، ولكن هذه افتراضات مسبقة وعامة لأنها كانت مقبولة دون برهان ، وهي نظرة لم يقبلها العلم؛ كونه يقوم على التجربة [2] التي قال عنها :" التجربة أظهرت خطر التعميم ، والبدء بالمبادئ العامة لاستنباط الحالات الفردية منها ، وذلك لسببين أولهما : أن هذه المبادئ قد لا تكون صحيحة وثانيهما : الاستدلال العقلي قد يكون خاطئا " [3] .

فالعلم لا يبدأ من فروض عامة ، بل من حقائق فردية ، تكشفها الملاحظة والتجربة لهذا اعتمد "راسل" على الاستقراء ، الذي يعني الانطلاق من الجزئي إلى الكلي ، الذي أكد دوره في قيادة الفكر للوصول إلى نتائج سليمة.

---

[1] هيجل : جدلية الدين والتنوير ، المرجع السابق ، ص ص 50 ، 51 ، 52.

[2] برتراند راسل : الدين والعلم ، مرجع سبق ذكره ، ص 8.

[3] المرجع نفسه ، ص 9.

لهذا اعترف بأهمية الاستقراء كمنهج علمي ، وانتقل إلى القول أنه أساسّي في كل بحث علمّي، رغم ظهور حالات غير محتملة الوقوع ، وأكّد أنّ هذا ليس عيبا في الاستقراء بل هو عيب في القانون ، وأنّ سلوكنا قائم على حوادث جزئية ماضية ناجحة ، يحتمل نجاحها عن طريق الاستقراء في المستقبل ، وكل قوانين العلم تعتمد على الاستقراء الذي ينطلق من الملاحظة الدقيقة[1]، وبهذا فإن اللاّهوت يعتمد على الفروض العامة التي نستنبط منها القضايا الإيمانية ، وهو ما جعل براهينه تقع في الزلل ، بينما العلم يقوم على الاستقراء ، فهو لا ينطلق من فرضيات عامة ، بل من وقائع فردية يكتشفها الإنسان عن طريق الملاحظة والتجربة ، مما يجعل نتائجه دقيقة وموضوعية، ثم إنّ الاعتماد على المبادئ العامة ، يجعل الإنسان ينزلق في خطورة التسليم المطلق بها ، مما يعرّضه إلى خطر في حالة اكتشاف الخطأ الناجم عنها ، بينما المبادئ تمثل بالنسبة للعلم نتائج مؤقتة ، وكل خطأ قابل للتصحيح ، مع احتمالية أن تصبح بذلك قوانين ، متى أثبتت التجربة صحتها ، وبالتالي يمكن تعميمها في النهاية، إذن يجب الانتقال من الجزء إلى الكل.

ويعود "راسل" إلى اكتشافات "كوبرنيكوس" ليعتبرها من بين المظاهر البارزة للصراع بين العلم والدين والدين ، من منطلق نظريته القائلة بمركزية الشمس ، وكانت مخالفة لما جاء في الكتب المقدسة ، وازداد الأمر سوءا حينما أثبتت هذه النظرية أنّ الأرض غير ثابتة فهي تدور مرة كل يوم حول نفسها ، ومرة كل عام حول الشمس ، وقد أكد "راسل" أن لهذه النظرية جذورا لدى الإغريق القدامى الذين اعتبرهم على درجة عالية من الكفاءة والمقدرة في علم الفلك [2] ، وربما عاد "راسل" إلى جذور النظرية ليثبت لنا أن الصراع بين العلم والدين قديم لم يكن وليد العصور الوسطى ، ولكن عرف أوجه ، وقوته في هذه الحقبة .

---

[1] محمد محمد قاسم : في الفكر الفلسفي المعاصر (رؤية علمية) ، دار النهضة لعربية للطباعة والنشر التوزيع ، بيروت ط1 ، 2001 ، ص 131.

[2] برتراند راسل : الدين والعلم ، المصدر السابق ، ص 15.

وقد تحاشى " كوبرنيكوس" حسب "راسل" نشر اكتشافاته ، خوفا من الكنيسة، لكن جاء بعده "غاليلي" الذي امتلك الجرأة الكافية لتحدي الكنيسة ، لكنه تعرض للاضطهاد [1]. وهذا الاضطهاد الذي تعرض له، يثبت الحرب الكبيرة التي شنّتها الكنيسة ضد العلم ومن صور الاضطهاد ماقاله "راسل" نقلا عن"مارتن لوثر" Martin Luther (1483-1546) :"إنّ الناس يستمعون إلى فلكي نصّاب يحاول أن يبيّن أن الأرض تدور وليس السّماوات والشمس والقمر ، ويتعين على كلّ راغب في إظهار ذكائه ، أن يستحدث نظاما جديدا يدّعي بطبيعة الحال أنه أفضل ما استحدث من نظم ، هذا المأفون يريد أن يغيّر وجه علم الفلك ، تماما ولكن الكتاب المقدس يخبرنا أن "هوشع" أمر الشمس وليس الأرض أن تقف مكانها"[2] ،إنّ هذا القول وهو لشخصية بارزة دعت إلى الإصلاح الديني ، تؤكد مدى عمق الاضطهاد الذي تعرض إليه العلماء ما يمكن القارئ من تخيل حجم الصراع الذي كان يسيّر العلاقة بين العلم والدين.

رغم ذلك دافع " يوهانس كبلر" Y.kepler * عن نظرية "كوبرنيكوس" حيث اقتنع بالبراهين التي أقامها حول نظريته ، وقد نشر قوانينه (أنظر الهامش) ، وانتهى إلى أنّ الكواكب تدور في مدارات بيضاوية تحتل فيها الشمس المركز ، وبهذا عارض الكنيسة ، وقد ساهم في تقدم علم الفلك كثيرا[3]، وإن ساعدت هذه الاكتشافات على تقدم علم الفلك ، إلا أن ساعدت في تعزيز الصراع القائم بين العلم والدين .

---

[1] برتراند راسل : الدين والعلم، مصدر سبق ذكره ، ص 17.

[2] المصدر نفسه ، ص 17 ، 18.

* 1585-1630 فلكي ألماني ، مكتشف قوانين حركة الكواكب ، من مناصرين نظرية "كوبرنيكوس" التي تؤكد أن الأرض تدور حول الشمس ، في سنة 1906 أصدر كتاب "الفلك الجديد" الذي نشر فيه قوانين حركة الكواكب ، أول قانون هو أن كل كوكب يدور حول الشمس في مدار شبه دائري ، القانون الثاني ، أن الكوكب تكون حركته أسرع كلّما كان أقرب إلى الشمس ، وبعد عشر سنوات اكتشف القانون الثالث وهو : كلما ابتعد الكوكب عن الشمس احتاج مدة أطول ليكمل دورته .ينظر (مايكل هارت : المرجع السابق ص 278 ،279)

[3] برتراند راسل : المصدر نفسه ، ص22.

وفي حديثه عن الصراع بين العلم والدين في العصور الوسطى ينتهي "راسل" إلى القول :" وعلى أية حال فإن اللاّهوت في العصور الوسطى ، لم يكن بإمكانه أن يتجنب التعبير عن مواقف شديدة التحديد ، بشأن كل شيء تقريبا ، نظرا لكونه نظاما منطقيا متفردا لا يخضع للتغيير أو التبديل، ومن ثمّ كان يميل إلى شنّ الحرب ضدّ العلم على جميع الجبهات [1] ، نفهم من هذا أنّ اعتزاز الكنيسة في "العصور الوسطى" بثبات نصوصها ومطلقية أحكامها ، وتفرّد نظامها ، جعل كلّ خروجٍ عن تعاليمها ، تهديد لها ، وبالتالي إن كلّ اكتشاف علمي منبوذ ، وكل عالم يصنف في قائمة الأشخاص الذي يعلن الحرب ضدهم ، طبعا إن كان اكتشافاتهم لا يخدم معطيات الكتاب المقدس.

ومن مظاهر الصراع كذلك بروز نظرية "شارلس داروين" Darwin Charles * في العصر الحديث، والمتعلّقة بـ:"أصل الأنواع" ، وذلك في مجال "البيولوجيا" ، والتي وجهت ضربة موجعة للعقائد الدينية، وأكّد "راسل" أنّ ما جاء به "داروين" فاق من حيث التأثير ما جاء به "كوبرنيكوس" في علم الفلك، بل إنّه أثبت بقوة أن الصراع بين العلم والدين ، تجاوز حدود الحقبة الوسيطية ، وزادت حدّته مع العصر الحديث ، وربما سيكون أكثر قوة مع العصر الذي عايشه "راسل"، ويؤكد "راسل" أن "داروين" له أهمية كبيرة في هذه المسألة إذ يقول : " وترجع أهمية "داروين" الأساسية من الناحية التاريخية إلى أنه اقترح آلية للتطور ، هي "الانتخاب الطبيعي" ، وهي آلية جعلت التطور يبدو أكثر احتمالا " [2]، فماهو مضمون نظرية التطور ومالذي جعلها تقوي الصراع بين العلم والدين ؟

---

[1] برتراند راسل : الدين والعلم ، مصدرسبق ذكره ، ص 38.

* 1809-1882 ،عالم تاريخ طبيعي وجيولوجي بريطاني ، ظلّ طوال حياته ينشر أبحاثة ونظرياته التي أكسبته شهرة واسعة، ومن بين نظرياته تلك التي تؤكد أنّ النبات والإنسان تطوّر عبر السنين ، ثم بعد ذلك اهتدى إلى نظريةّ الانتخاب الطبيعي":التي وضعها في كتابه الشهير " أصل الأنواع" ، وقد لقي الكتاب ضجة عميقة ، كونه أرجع أصل الإنسان إلى قرد. أنظر(مايكل هارت: المرجع السابق ، ص 49 ، 50) .

[2] برتراند راسل : الدين والعلم ، مصدر سبق ذكره ، ص 66.

لقد أكّدت "نظرية التطور" حسب "راسل" أنّ: أشكال الحياة موجودة منذ عصور سحيقة في القدم ، وهناك الأشكال السابقة والأشكال اللاّحقة ، هذه الأخيرة لا توجد من تلقاء نفسها بل وجدت من أشكالٍ سابقة عليها ، في سلسلة متتابعة [1].

وهذا ما يمكن أن نلمسه في قول "داروين" :"الأنواع الحيّة وجدت متتابعة ، فهي لم تخلق بصورة مستقلة عن بعضها بعضا ، فكل نوع يأتي من نوع آخر"[2] ، هذا التتابع بينها يكون من خلال سلسلة من التعديلات والتغييرات ، التي تقوم وفق "نظرية التطور" في "البيولوجيا" وقد وجّهت بهذا ضربة قاسية للعقائد الدينية ، التي أكّدت ثبات الأنواع وعدم تطورها يقول "داروين" :" إن جهلنا بقوانين التمايز جهل عميق جدّا ، فنحن لا نستطيع أن ندّعي ولا حتى في حالة واحدة ، من مائة حالة إمكاننا أن نحدد ،أي سبب واحد وراء تمايز هذا أو ذاك الجزء ، ولكن عندما يكون لدينا الوسائل لإقامة مقارنة ، فإنّه يظهر أن نفس القوانين قد أدّت تأثيرها في إنتاج الاختلافات الصغرى بين الضروب التابعة لنفس النوع والاختلافات الكبرى بين الأنواع التابعة لنفس الطبقة [3].

وبالتالي إنّ التمايز هو الأساس الذي يحكم الأشكال الحية ، والدليل على ذلك هو الفروق الكبيرة الموجودة بينهما ، والتي اعتبرها "داروين" أساس نظرية التطور، ومادامت الكائنات الحية تقوم على التمايز ، فإنّها تخضع لسلسة من التعديلات في تطورها ، وهو ما يدفع في النهاية إلى التخلّي عن أهم نظرية أثبتها "سفر التكوين" وهو ثبات الأنواع ، ومنه زعزعة مبادئ واردة في الكتاب المقدس ، مما يقوّي الصراع بين العلم ووالدين .

[1] برتراند راسل : الدين والعلم ، المصدر السابق : ص65.

[2] شارلس داروين : أصل الأنواع ، تر: مجدي محمود المليجي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط1، 2004 ص 57،

[3] المرجع نفسه : ص 272.

وانتهى " راسل" إلى أن نظرية التطور "الداروينية" ، قد كانت قاسية جدّا على علم اللاّهوت ، ذلك أنها لم تتوقف عند حدود ثبات الأنواع والأشكال ، وأن الأشكال الحية خلقت من طرف الله منفصلة ، بل هدّمت الحجج الداعمة والبراهين القوية لفكرة الرعاية الإلهية لم يعد هناك إله رحيم ، بل هناك "انتخاب طبيعي"[1]، وهو المحرّك لكل شيء ، وهي فكرة نلمسها في كتاب "داروين""أصل الأنواع" حين يقول :" الانتقاء الطبيعي سوف يقوم بتعديل التركيب الخاص باليافع فيما يتعلق بالوالدين ، وبالوالدين فيما يتعلق باليافع ، وفي الحيوانات الاجتماعية فإنه سوف يكيّف التركيب الخاص، بكلّ فرد لما فيه فائدة للمجتمع كلّه "[2] .

وفي هذا استبعاد للرعاية الإلهية ، حتى وان وجدت فإنه يظهر من خلال استعمالها للانتقاء الطبيعي ، غياب العدل عن ذاتها، وبالتالي سوف تتصدى الكنيسة بقوة فيما يخص هذه النقاط وغيرها ، وهو ما كان يتوقعه "داروين" حين قال :" كانت الغالبية العظمى من علماء التاريخ الطبيعي تؤمن بان الأنواع الحية هي إنجازات ثابتة ، وغير قابلة للتغيير وأنّه قد تم خلقها على نحو منفصل عن بعضها بعضا ، وقد استمر كثير من الكتاب في التمسك الشديد بهذه الفكرة [3]، وذهب "راسل" إلى أن "الداروينية" كانت نظرية جريئة جدا لم تتحدى الكنيسة فقط ؛ بل تحدّت كل معطيات الواقع ، والعقلانية ، عندما أرجعت الإنسان البشر المتميز إلى أصل أخذ من حيوانات أدنى منه ، من بينها القرد ، وقد ركّز علماء اللاهوت كثيرا على هذه النقطة ، واعتبروا أن الإنسان روح متميز لا يملكها الحيوان ، لقد وضع الله فيه عقلا يمكّنه من التمييز بين الخطأ والصواب ، على اعتبار أنّه يحتوي جملة من المبادئ، في حين أن القردة وباقي الحيوانات تسير وفق مبدأ الغريزة [4] .

---

[1] برتراند راسل : الدين والعلم ، مصدر سبق ذكره ، ص 70.

[2] شارلس داروين : المرجع السابق ، ص 168.

[3] المرجع نفسه ، ص 37.

[4] برتراند راسل : المصدر نفسه ، ص 70 ، 71.

ومنه يستحيل على كل مسيحي أن يؤمن بنظرية التطور ، فهي نظرية هدّت قلاع الكنيسة ، خاصة ما جاء في "سفر التكوين" من ثبات الأنواع إلى انفصالها ، إلى الانتقاء الطبيعي ، وظهور سلسلة من التعديلات، التي حدثت من القدم إلى آخر تطور.

وفي ميدان الطب أرجعت الكنيسة ، سبب الأمراض التي تصيب الجسم البشري إلى عقاب إلهي لمرتكبي المعاصي ، أو إلى مرض شيطاني ، ومادام كذلك فلا بد من تدخل القديسين من أجل الشفاء منه، من خلال أخذ شفاعتهم ، أو التبرّك بما تركوه من ورائهم من بقايا مقدسة ، أو عبر الصلاة ، والصوم، وذلك من أجل طرد الشياطين من أجسامهم ، وقد وُجِدَت هذه الأشياء كلّها في الكتاب المقدس ، وتكفّل رجال الكنيسة بنشر باقي الخرافات ؛ على غرار ما فعله القديس "أوغسطين" Augustin *الذي كان يعتقد اعتقادا راسخا أنّ الشياطين هي سبب الأمراض التي تلحق بالعبد المسيحي المؤمن[1] ثم أُسْتُغِلَّت هذه الخرافات في زيادة دخل الكنيسة ، وانعكس ذلك كلّه على دخل المدينة وبالتالي من المجال الديني إلى المجال الاقتصادي ، يقول "راسل" :" وفي العصور الوسطى زاد الاعتقاد بفاعلية القديسين وآثارهم (...) وكان امتلاك الكنيسة لمخلّفات القديسين ذات القيمة، مصدر دخل لها، وللمدينة التي توجد فيها هذه المخلفات "[2].

هذا ما جعل "راسل" يعتقد أن ما تقدّمه الكنيسة مجرد خرافات لا صلة لها بالواقع ، يحقّ للعلم أن يرفضها،وهو في طريق البحث لإيجاد حلول لمشكلات الإنسان.

---

* 354-430 ، لاهوتي وفيلسوف مسيحي ، وأحد كبار آباء الكنيسة ، ولد في "تاغشت" Tagast وتعرف اليوم بـ:"سوق أهراس" في شرق "الجزائر" ، وتوفي في "هبون" "عنابة" حاليا ، غرب "تونس" ، درس النحو والفنون ، خاصة فن الخطابة رحل إلى "روما" ودرس الخطابة في "ميلانو" ، ثم التحق بالكنيسة الكاثوليكية، وصار قديسا ، كتب عدة رسائل منها : "رسالة في خلود النفس" ، "مناجيات" .ينظر(عبد الرحمان بدوي موسوعة الفلسفة ، ج1 ،المرجع السابق ، ص ص 347 ،348،349)

[1] برتراند راسل : الدين والعلم ، مصدر سبق ذكره ، ص 77 ، 78.

[2] المصدر نفسه ، ص 78.

وقد أوصى رجال الدين بتقديم الهدايا الكنيسة ، خاصّة الأراضي من أجل تجنب غضب الربّ ، خاصة في ظل انتشار الأوبئة والطاعون ، واستمر الاعتقاد حتى "عصر النهضة" واعتبر اللاهوتيين أنّ كلّ العلوم التي تحاول أن تجد تفسير علميا لهذه الأمراض ؛هي علوم شيطانية شريرة ، على غرار "علم التشريح" ، إنّه علم يسعى إلى إراقة الدماء والكنيسة ترفض ذلك ، وبالتالي كانت توصيات رجال الدين للأطباء هو استدعاء القديس لزيارة المرضى ، من أجل طرد الأرواح الشريرة التي تسبب الطاعون ومشتقاته من الأوبئة [1] " (...) ولم يقتصر الأمر على الاعتقاد بأنّ الخزعبلات هي أنجح وسيلة لمقاومة الأمراض بل تعداه إلى التصدي بقوة لوقف أيّة دراسة علمية للطب "[2].

اعتبارا لهذا الطرح فإن رفض الكنيسة التفسير الطبي العلمي للأمراض ، هو صورة أخرى من صور الصراع بين الدين والعلم ، إذ لم تقتصر على مجال "الفلك "و"البيولوجيا" بل امتد الأمر بها إلى علوم بارزة على غرار"الطب" ، الذي ارتبط بالخرافات والأساطير ويبدو أنّه يسعى إلى خدمة طبقة معينة متعلقة برجال الدين.

لقد تعددت أنماط الصراع بين العلم والدين ، ومن مظاهرها كذلك ثورة الكنيسة في وجه التلقيح ضد "مرض الجذري" حيث انتشرت مواعظ كثيرة ومتعددة تدعو في مجملها إلى التخلي عن هذا التلقيح ، بحجة أنه تحدّ للإرادة الربانية ، ومن بين المواعظ نجد أن قروح "أيّوب" ترجع دون أدنى شك إلى أن الشيطان قام بتلقيحه ، وهنا اشترك كثير من القساوسة خاصة في" اسكتلندا" في إعداد بيان كنسي ، اعتبر فيه أن التلقيح ضدّ الجذري ، غير جائز فهو وقوف في وجه الأحكام الربانية والإرادة الإلهية [3].

---

[1] برتراند راسل: الدين والعلم، مصدر سبق ذكره ،ص ص 82 ، 83 ، 84.

[2] المصدر نفسه ، ص 83.

[3] المصدر نفسه : ص 101 ، 102 .

ولم يتوقف تدخل اللاهوت في "الطب" عند هذه الحدود ، بل وصل إلى درجات أعمق وأقوى وأخطر ، واستمر الوضع كذلك عبر العصور ، فتدخل الدين في تحديد النسل وفي مسائل الإجهاض ، ويقدم "راسل" في هذا السياق عدة دلائل نذكر منها :" الخطاب الخاص بالزواج الذي وجهه إحدى البابوات إلى أساقفته في الكنيسة الكاثوليكية ، يقول هذا البابا عن الذين يمارسون تحديد النسل أن يرتكبون خطيئة ضد الطبيعة ، كما يرتكبون فعلا مخجلا ، وشريرا في جوهره"[1] .

تلك هي بعض معالم ، مظاهر الصراع بين الدين والعلم من منظور "راسل" وفي الحقيقة أن "راسل" ذكر كثير من الشواهد التاريخية في المجالات المختلفة تدل على مظاهر هذا الصراع ، يثبت من خلالها أن العلاقة بين الدين والعلم لم تبنى يوما على التوافق ، بل إنّها علاقة تنافر ، كان سببها هو وقوف الدين في وجه كثير من الأبحاث العلمية ، وهذا يعكس توجه "راسل" الإلحادي ، الذي نظر من خلال نافذته إلى الدين نظرة ازدراء ، وهو ما سيظهر في المطلب الثالث ، من خلال تحليلنا لنتائج الصراع بين الدين والعلم .

المطلب الثالث : نتائج الصراع

كما قلنا سابقا إن العلاقة بين العلم والدين لم تبنى يوما على التوافق ، بل على التنافر تجسدت في تلك العلاقة القائمة على الصراع ، التي تسبب في معظمها الدين ، فهو سبب تخلف الشعوب ، لهذا طالما كان العلم في المرتبة الأولى ، وكانت من أهم نتائج الصراع هو انتصار العلم يقول "راسل" :" واحتدم بين الدين والعلم صراع طويل ظل فيه العلم منتصرا بصورة أو بأخرى حتى السنوات الأخيرة " [2].

[1] برتراند راسل: الدين والعلم ، مصدر سبق ذكره ، ص 101 ،102 .

[2] المصدر نفسه ، ص 3 .

وبهذا صارت تأثيرات العلم ، أقوى من تأثيرات الدين ، لقد استطاع العلم أن ينير الطريق للبشرية من خلال تبديد العديد من المعتقدات التقليدية ، خاصة الخرافات والأساطير فبعدما كان المرض يعزى إلى الشعوذة ، ونقص الإنتاج الزراعي يعزى إلى غضب الرب أو الأرواح الشريرة ، وتقديم القرابين يوحي بالانتصار في الحرب ، انقلب الوضع ، بفضل العلم بدأ التخلص من هذه الطقوس ، وأكد "راسل " على أن الظاهرتين العلميتين "الكسوف" و"الخسوف" أوّل الظواهر التي خرجت من حيز الخرافات والأساطير [1].

وقد لاحظنا تدخل اللاهوت في "الطب" ، ومحاولة ربط الأمراض بخرافات الدين إلا أن "الطب" في كثير من الأحيان كان هو المنتصر ، في المعارك الدائرة بينهما فلا يوجد إنسان في الكون يرى أنه من العيب ، أو حتى الكفر ، تجنّب الأمراض عن طريق مراعاة شروط الصحة ، وتفادي العدوى ، عن طريق النظافة ، ورغم أن الناس وحتى عهد قريب ، مازالوا يؤمنون أن الأمراض قضاء وقدر ، إلا أنّهم يسعون دائما إلى التداوي علميا منها [2] .

والواقع يثبت هذه المعطيات ، فلقد تطور "الطب كثيرا" ، وهو التطور الناتج عن تطور العلم، بل وإن العلم صار يحتل المراتب الأولى في التقدم الحضاري ، فكل تقدم حضاري يقاس بمقدار التطور العلمي ، وهو ما جعل كثيرا من المفكّرين يؤكدون أنّ العلم قدّم مساهماتٍ كبيرة للحضارات ، لم يستطع الدين أن يقدّمها ، ففي الوقت الذي ساهم الدين في تخلف البشرية ، استطاع العلم أن يخرجها من ظلمات الجهل ، وذلك يثبت في كل لحظة الانتصار الكبير؛الذي جاء نتيجة صراع العلم مع الدين.

---

[1] برتراند راسل : أثر العلم في المجتمع ، تر: صباح صديق الدملوجي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ، بيروت ، ط1 2008 ، ص 19 ، 20.

[2] برتراند اسل : الدين والعلم ، المصدر السابق ، ص 105.

وأكثر من ذلك: إنّ الدين خسر الرهان تماما أمام سلطة العلم ، فهو مصدر للعذاب الذي عانته البشرية ، رغم مساهمته الماضية في جعل "الكهنة المصريين" يؤرخون للكسوف والخسوف ، ولم تعد الكنيسة تتميز بالموضوعية ، بل صار رجال الدين يخدمون مصلحتهم وسلطتهم ، وجيوبهم ، وقد عارضوا لأجل ذلك كل تقدم أخلاقي وعقلي[1].

بينما العلم، وفي مسارات تطوره صار يخدم الأخلاق ، إذ تحوّل من كونه وسيلة لمعرفة العالم ؛ إلى كونه وسيلة ترينا كيف نغيّر العالم ، في ظلّ التقنية ، وذكر "راسل " في هذا الصدد جهود "البراغماتيين" بزعامة "جون ديوي" الذي اعتبر أن الفكرة التي لا تعمل هي فكرة يجب التخلي عنها ، وعندما تعمل وتكون جيدة نأخذ بها ؛لأنّها تخدمنا والعكس صحيح ، وبهذا يعطينا العلم قوة للسيطرة على الطبيعة ، وهي قوة مستمدة من التقنية ، مما يخدمنا، وهذا جانب أخلاقي [2] ، وانتهى "راسل" إلى القول :" إن البراغماتية تروق للمزاج الفكري (...) الذي يثق بإمكانية التقدّم العلمي، ولا يشعر بالتحديدات غير البشرية لطاقات الإنسان ، كما أنّه يحب المعارك، مع كل ما يصحبها من أخطار لعدم وجود شك حقيقي لديه حول إحراز النصر"[3] .

هذا هو الجانب الأخلاقي، الذي من شأنه أن يحقق سعادة الإنسان لهذا فإن رجال العلم هم أسعد الناس حسب "راسل" أو بتعبيره:" إن أسعد الناس من ذوي الثقافة العالية في أيّامنا هذه هم رجال العلم (...) فهم سعداء في علمهم؛ لأن العلم في العالم الحديث تقدّمي، وذا نفوذ، وأهميته غير مشكوك فيها سواء من قبل أنفسهم ، أو من قبل من هم خارج اختصاصهم"[4].

---

[1] برتراند راسل : مالذي أؤمن به ، المصدر السابق ، ص ص ، 83 ، 84 ، 85.

[2] براند راسل : أثر العلم في المجتمع ، مصدر سبق ذكره ، ص 115 ، 116.

[3] المصدر نفسه ، ص 119.

[4] برتراند راسل : الفوز بالسعادة ، تر: سمير عبده ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د ط ، 1980 ، ص 123.

إنّه انتصار العلم ،أو انتصار للعلم ، ومهما يكن فإن الصراع التاريخي الذي جمع العلم والدين ، أو الكنيسة والإيمان ، عادت الغلبة فيه للعلم ، حسب "راسل" ، وهي الغلبة التي جعلت العلم حتى عهد غير بعيد ، يهيمن على الحركية العامة في المجتمع البشري بل كان من نتائج الانتصار؛ هو تحقيق السعادة للبشرية ، وهو ما ينشده كل إنسان.

المبحث الثالث: الصوفية والمنطق

يبدو أن " راسل" في حديثه عن الصوفية ، والمنطق حاول أن يهذّب الصراع القائم بين الدين والعلم ، وهو صراع أزلي كانت نتائجه كارثية على جميع المستويات الممكنة فاهتدى بصورة غريبة إلى مجال آخر، يمكن أن يقبله العلم في جانب ضيّق منه وهو "التصوف" ، ومن اجل توضيح الفكرة ألّف في هذا الصدد كتابا عنوانه "التصوف والمنطق" Mysticism and Logic الذي يقول فيه :" محاولة إدراك العالم ككل عن طريق التفكير ، يتشكل منذ البداية من اتحاد اثنين من البواعث البشرية ، شديدة الاختلاف أحدهما يجذب الإنسان نحو الصوفية ، والآخر يجذب الإنسان نحو العلم (...) وأعظم الرجال الذين كانوا فلاسفة شعروا بالحاجة إلى كل من العلم والتصوف ، وقد حاولوا المزج بينهما ، وهو ما جعل الفلسفة أمرا أعظم من العلم والدين [1] .

اعتبارا لهذا لم يستطع "راسل" أن يثبت بطلانه ، رغم قربه كثيرا من مجال الدين هذا القرب جعلنا نعتمد على خطة أساسية يكون منطلقها هو البحث عن ماهية التصوف ماذا يعني التصوف عامة ، وعند "راسل" خاصة ، ثم كيف استطاع التصوف الآن يتجاوز الصراع القائم بين الدين والعلم؟ طبعا من منظور "راسل" .

[1] Bertrand Russell : Mysticism And Logic And Other Essay, Cornel University Library, Great Britain,p3.

المطلب الأول: مدخل موجز إلى التصوف

التصوف كلمة غامضة ، من الصّعب إيجاد تعريف جامع مانع لها ، بل ومن الصّعب وصف التجربة الصوفية في حدّ ذاتها ، باعتراف المتصوفة أهل الاختصاص ، :"ولقد عبّر الصوفية عن هذه الصعوبة في وضع حدّ لما يشعرون به في مواجيدهم ، ومشاهداتهم وأبانوا أنّ التجربة الصوفية، باعتبارها معرفة دفعية مباشرة ؛ تعبير عن وسائط من مقدمات وقضايا وبراهين ، أو تجريب ، فهي إدراك ذاتي لا يمكن تعميمه ، ممّا لا يمكن الاطلاع عليها،أي نقلها للآخر"[1].

لهذا اختلف الباحثون حول التعريف الحقيقي للصوفية، وللتصوف اختلافاً كثيراً قلَّما يوجد له مثيل، هذا الاختلاف يوحي في صميمه على غموض الكلمة ، إلى درجة تثير الاضطراب خاصة عندما نصل على علاقتها بالدين ، حيث اختلفت الآراء في هذا المجال.

ومن التعريفات الواردة : " التصوف طريقة مخصوصة في السلوك ، تشمل على مجموعة قواعد ، ورسوم مقصودة ، ينشدها السّالك ، ويستهدفها في رياضته الروحية ،غايتها الوصول إلى معرفة الله " [2] .

وعليه فالتصوف مثل كثير من المواضيع ؛ تخصّص له موضوعه ، ومنهجه ،وقواعده وأهدافه ، يسلكه الإنسان لغاية سامية ؛وهي معرفة الله ، وبالتالي يظهر أن التصوف على علاقة كبيرة بالدين ، فهو يبدو من ظاهره أنّه عبادة مثل باقي العبادات، ولطالما كان رجال الصوفية يعتبرون من أكبر العبّاد ، الذين يأتون بالمناسك على حقيقتها، هدفهم الخالص هو المعرفة الحقيقية للرب.

[1] عرفان عبد الحميد فتاح : نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1993 ، ص140.

[2] المرجع نفسه : ص 141.

فهناك كثير من المفكرين، اعتبروا أن التصوف ينتمي إلى مجال ديني ، حيث خلطوا بين الصوفي والمتعبد ، فالإنسان كثير العبادة ، في نظرهم هو شخص صوفي ، إذ نجده زاهدا كثير الإتيان بالعبادات ، وهناك من يذهب إلى غير ذلك معتبرا أنّ التصوف مذهب في الوجود ، ومنهج في المعرفة ، فللصوفية موضوعها ومنهجها ، هذا ما يجعل الصوفي ينتقل من ميدان العبادة إلى مجال الفلسفة والتمذهب ، مبحثها هو الوجود والمعرفة [1].

والتصوف ظاهرة عالمية ، فهو لم يقتصر على حضارة بعينها ، بل عرفته كثير من الحضارات الكبرى ، كالحضارة الهندية ، والحضارة الصينية ، والحضارة اليونانية وقد وصل كذلك إلى الحضارة العربية الإسلامية[2] .

وفي الحضارة الغربية اهتم به المسيحيون كثيرا ، وارتبط بالكنيسة ، واعتبرا أن التصوف ظاهرة دينية مثل الظواهر الدينية الأخرى ، المستنبطة من الكتاب المقدّس ، لأن هدفه هو الاتحاد بالله ، أو معرفة الله ، المتجسدة في "يسوع"، ورغم ذلك إلاّ أنّ هناك من المفكّرين من ذهب إلى عكس ذلك ، معتبرا أن التصوّف أكبر وأوسع من أي شيء ديني ، خاصة من طرف الفلاسفة ، واستدلوا بعدة دلائل من بينها أن الفيلسوف المعروف "أفلوطين"*Plotin فيلسوف متصوف ، له خلفية عقلية لا دينية [3].

---

[1] عرفان عبد الحميد فتاح :المرجع السابق، ص 139 ، 140.

[2] بلحمام نجاة : ظاهرة التصوف الايجابي عند محمد إقبال ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة إشراف : عبد اللاوي محمد ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة وهران ، الجزائر، 2011-2012 ، ص 5.

* رائد "الأفلاطونية المحدثة" (نسبة للفيلسوف اليوناني "أفلاطون") في القرنين الأول والثاني للميلاد ، وهو فيلسوف عرف عنه تأثره بالفيلسوف اليوناني المشهور " أفلاطون" ، حتى أنه جعل اسمه تصغيرا لاسم الفيلسوف الذي تأثّر به ، وقد جعل الوجود المادّي صادرا ومشتقا عن وجود الله ، وعدّ التجربة الصوفية تجربة وجدانية، أي تجربة متعلّقة بالعاطفة ، وهي الغاية النهائية والروحية لكل معرفة ، هدفها الوصول إلى معرفة الله أحيانا ، وفي أحيان أخرى الاتحاد به، وبالتالي مزج بين الفلسفة والصوفية " ينظر(عبد الرحمان بدوي : المرجع السابق ، ص ص 191 ،192 ،193)

[3] وولتر ستيس : التصوف والفلسفة ، تر: إمام عبد الفتاح إمام ؟، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، د ط ، 1999 ، ص 409.

وبالتالي صار الصوفي لا يفضل عقيدة على حساب أخرى ، ولا يرتبط بأي دين من الديانات في العالم ، فالصوفي الحقيقي هو الذي يترك العقائد الدينية جانبا ، ويظل محافظا على توجهه الصوفي [1] ، وهذه الفكرة التي سنلمسها في فكر "راسل" الذي نجده ينتقد التصوف المرتبط بالمعتقدات التي تطورت في إطاره ، مؤكّدا على أن التصوف يجب أن يحتوي الحكمة ، ويتخذ صورة موقف من الحياة ، ولا ينبغي له أن يتحوّل إلى عقيدة في الوجود ، لا ترى غير الله ، والحكمة المقصودة من التصوف هي الجانب الأخلاقي والروحي والجمالي؛ الذي يكسب الفرد خبرة في الحياة ، وعليه يجب رفض النتائج الميتافيزيقة ، والغيبية من كل تجربة صوفية *[2].

المطلب الثاني : نظرية المنطق

غايتنا من هذا المطلب ، ليست الحديث عن تفاصيل القضايا المنطقية ،التي تعرض إليها " راسل" مثل "نظرية الأنماط" أو " الوقائع" أو "الحدود المنطقية "؛ بل هي دراسة عامة الهدف منها تقريب المنطق من العلم ، للوقوف على علاقة التصوف بالعلم.

و"راسل" ينتمي إلى اتجاه يسمى في المنطق "الاتجاه المنطقاني" ، وهي ظاهرة من ظواهر الفكر المعاصر ، تنتمي إلى مجال العلم ، وهناك علمين متخصصين في هذا الصدد ، هما المنطق والرياضيات ، وهي تطلق على فكرة رد الرياضيات إلى المنطق [3].

---

[1] ولتر ستيس : المرجع السابق ، ص 410.

* سنعود إلى هذه النقطة بشيء من التفصيل في المطلب الثالث .

[2] بلحمام نجاة : المرجع السابق ، ص 102 ،103.

[3] زيات فيصل : المنطق والرياضيات عند برتراند راسل، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ل-م- د في الفلسفة إشراف : دراس شهرزاد ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة وهران 2 ، الجزائر ، 2016-2017، ص 103.

فالمنطقانية عند "راسل" هي محاولة رد الرياضيات إلى المنطق ، وقد سبق أن ذكرنا أن الهدف الذي كان يهدفه "راسل" من دراسته للرياضيات، هو ردّها جميعا إلى المنطق هذا الرد الذي انتهى منه في الأخير إلى المزج التامّ بينهما ، إلى درجة استحالة الفصل يقول "زكي نجيب محمود" :" علاقة الرياضيات بالمنطق وثيقة جدا ، فكون الثوابت الرياضية جميعا ثوابت منطقية ، يجعل تمييز الرياضة عن المنطق أمرا جزافا إلى حدّ بعيد"[1].

وفي إطار هذا الصدد لا بأس أن نأخذ هذا النص لـ:"راسل" يبين فيه العلاقة الوطيدة والعميقة التي تجمع المنطق والرياضيات " :" كانت الرياضيات والمنطق تاريخيا ، نوعين من الدراسة متميزان تماما ، فقد ارتبطت الرياضيات بالعلم ، والمنطق باللغة اليونانية لكن كليهما تطور في الأزمنة الحديثة ، فأصبح المنطق أكثر رياضيّا ، والرياضة أكثر منطقية ، مما ترتب عنه استحالة وضع خط فاصل بينهما ،إذ الواقع أن الاثنين شيء واحد والخلاف بينهما كالخلاف بين الصبي والرجل ، فالمنطق شباب الرياضيات ، والرياضيات تمثل طور الرجولة للمنطق "[2] .

هذا الارتباط الوثيق بين المنطق والرياضيات ، جعل من المنطق علما ، رغم ارتباطه سابقا بالفلسفة في الحضارة اليونانية ، ومع هذه العلمية التي تميز المنطق يطرح التساؤل ما علاقة التصوف بالمنطق ، ثم ما علاقته بالعلم ؟

[1] زكي نجيب محمود : برتراند راسل (نوابغ الفكر الغربي) المرجع السابق ، ص 152.

[2] برتراند راسل : مقدمة للفلسفة الرياضية ، تر: محمد مرسي أحمد ، مؤسسة سجل العرب ، مصر ، د ط، 1980 ص 208.

المطلب الثالث:من المنطق إلى علاقة التصوف بالعلم

في الحقيقة أن التصوف والمنطق –كما ذكرنا سابقا– هو عنوان لكتاب ألّفه "راسل" والغاية من الربط بين المنطق والتصوف ، هو الربط بين التصوف والعلم ، وتجاوز الصراع الطويل الذي يجمع العلم والدين ، ولكن يجدر الإشارة إلى أنّ التصوف الذي يقصده "راسل" هو تصوف من نوع خاص؛ ليس التصوف الديني المرتبط بالعقيدة التي تسعى إلى معرفة الله ، تلك العقيدة الحلولية التي تسعى إلى الاتحاد بالله ، بل هو التصوف المرتبط بالحكمة الحكمة التي تعلمنا كيف نتعامل مع الحياة.

لهذا يؤكد "راسل" أن التصوف كعقيدة دينية خاطئ ، وهو يرفضه ، انطلاقا من رفضه كل المعتقدات الدينية ، لكن يؤكد في الوقت نفسه أن هناك نوع من الحكمة في التصوف يمكّننا من اتخاذ الصوفية كأسلوب للتعامل مع الحياة ، وليس عقيدة دينية،عن العالم والوجود حتى ذلك الشخص الذي يسعى للحقيقة العلمية ، يستعمل نوعا من الإلهام الذي تتحرك به الصوفية ، وتعمل بمقتضاه [1] .

إذن وكما قلنا هو تصوف من نوع خاص ، لا يرتبط بالعقائد الدينية ، يتجاوز كل ما هو ميتافيزيقي، يحتوي الحكمة ، التي من شأنها أن تجعل منه وسيلة للتعامل مع الحياة .

يقدم "راسل" شواهد من تاريخ الفكر الفلسفي ، تؤكد الخلط بين الصوفية والمنطق للوصول إلى فكر فلسفي عميق يقول :" قبل محاولة توصيف صريح للبواعث العلمية والنبضات الصوفية ، سوف أوضح أمثلة لاثنين من الفلاسفة كانت عظمتهم وشهرتهم من خلال المزج بين التصوف والعلم هما: هيراقليطس Heraclitus وأفلاطون Plato " [2] .

---

[1] Ibid , p12,13.

[2] Ibid ,p3.

"هيراقليطس" من الفلاسفة اليونانيين الطبيعيين ، الذين كانوا يؤمنون بالتدفق الكوني يعتقد "راسل" أنّ كثيرا من أفكاره تقوم على الملاحظة العلمية ، وتستند إلى مقولة مفادها أن الأشياء الموجودة في الكون ، والتي يمكن سماعها ورؤيتها ومعرفتها ، هي التي تستحق أن نعطيها أهمية بالغة بالتأمل ، والبحث ، وهذه في رأي "راسل" لغة العلم التجريبي الذي يقوم على منهج دقيق ينطلق من الملاحظة ، هذه الأخيرة التي أوضحت مبدأ فلسفته في الكون، ومقتضاه أن أصل الكون هو النّار ، فالكون يقوم على التدفق ، والتغير والاحتراق ، تغيير كبير[1]؛ على النحو التالي : أصل الكون هو النّار ، إذ تنزل إلى أسفل فيتدفق منها الماء ، وجزء من الماء يصير أرضا ، وبالصعود إلى أعلى تتدفق الأبخرة من الأرض والماء ، فتصبح سحبًا ثم تشتعل فتعود إلى النار[2].

وقد أكد جملة من الدّارسين أن منهج "هيراقليطس" في الطرح هو منهج صوفي :"وواضح أن منهج "هيراقليطس" الذي يقضي بالاتحاد بالحقيقة ؛ هو منهج أقرب ما يكون إلى مناهج التصوف ، حيث نعرف الحقيقة بالعيان المباشر وبالاتصال ، ولكن هذه النزعة الصوفية عنده لم تكن تتسع لقبول أي شيء غامض في العقل، أو مبهم أو يفوق الحس "[3] في هذا القول نلمس جمعا بين الطريقة العلمية والطريقة الصوفية ، هذا ما جعل "راسل" يؤكد نجاح هذا الفيلسوف في المزج بينهما ، وهو ما أكسب فلسفته شهرة واسعة، هذه الشهرة ناتجة عن تأثر كثير من الفلاسفة بأفكاره ، بما فيهم "راسل" في حد ذاته ، هذا المزج أخذ كدليل انطلق منه "راسل" ليؤكد إمكانية التقريب بين المعرفة الصوفية، والعلمية، ولكن يجب التذكير دائما أن التصوف الذي يتحدث عنه "راسل" هو تصوف من نوع خاص ، وهذا مثاله على أن "هيراقليطس" لا يقبل في المعرفة شيئا يفوق الحس.

---

[1] برتراند اسل : عبادة الإنسان الحر ، مصدر سبق ذكره ، ص 22.

[2] أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د ط ، 1998 ص 64.

[3] المرجع نفسه ، ص 61 ،62.

ولتدعيم الموقف أكثر يؤكد "راسل" أن ما جاء به "هيرقليطس" حول أن أصل الكون هو النار؛ من طابع صوفي يشبه إلى حد بعيد مقولة "أفلاطون" ، والتي مفادها أنه لا يمكنك أن تخطو نفس النهر مرتين ، لأن ماء جديدا بدأ يتدفق ، واعتبر " راسل" مقولة "أفلاطون" مقولة علميّة ، وانتهى إلى أن كثيرا من صوفية "هيرقليطس"، مصدرها الحقيقة العلمية فحقائق العلم كانت هي مصدر إلهامه ، لقد أرسل نوره ، والذي من خلاله نظر إلى أعماق العالم ، فوجد نارا حارقة ، تغيّر الأشياء، وفي هذا الصدد نرى الاتحاد الحقيقي للرجل الصوفي ، ورجل العلم ، وهو أعظم ما يمكن الوصول إليه في ميدان التفكير الفلسفي[1] .

" أفلاطون" كذلك يجتمع لديه الجانبان ، الصوفي والعلمي ، ولو أن المجال الصوفي أكثر تأثيرا من العلمي ، يظهر ذلك في "أسطورة الكهف" ؛ التي تعتقد أن المعرفة ضمنها تكون أكثر يقينا ممّا تقدمه الحواس ، ومضمون هذه الأسطورة أنّ كثيرا من الرجال يعيشون في غرفة ، وهي عبارة عن كهف تحت الأرض ، لها مدخل مفتوح على الضوء ، هؤلاء الرجال كانوا منذ طفولتهم في هذا الكهف، مكبّلين على مستوى الساقين والرقبة ، دون حركة حيث أنه من المستحيل بالنسبة لهم تحويل رؤوسهم في أي جهة ، وهناك نارا ساطعة تحترق من بعيد ، من فوقهم ومن خلفهم ، وبين النار وهؤلاء الرجال طريق منخفض على طولها وفوق ذلك كله تظهر لهم عجائب ، وكان تعليق كثير من الفلاسفة على هذه الأسطورة أن "أفلاطون" يصوّر شيئا من الخيال ، ويطرح أفكارا غريبة ، لكنّه في المقابل أراد أن يبيّن أنّ الحقيقة موجودة وراء هذا العالم الزائف في العالم العلوي ، حيث تصعد الروح إلى المنطقة العقلية [2]، طبعا فهو يطرح نظريته في المعرفة تبعا لـ"نظرية المثل" التي تقتضي وجود عالمين : عالم المحسوسات الزائف ، وعالم المعقولات الحقيقي.

[1] برتراند راسل: عبادة الإنسان الحر ، المصدر السابق ، ص 22 ، 23.

[2] Ibid ,p4.

ولعلّ الغرابة في أفكار" أفلاطون" ؛ تلك الإشراقة الصوفية التي جعلته يعبّر عن الحقيقة بواسطة الأساطير ، من خلال تركيزه على نظرية المعرفة ، التي تستنبط من العقل لا من الحواس ، واستعمل في هذا المجال عدة علوم من بينها:الرياضيات التي اعتبرها وسيلة تنقل الإنسان من عالم الأشياء الزائفة، إلى عالم الأشياء الخالدة ، وهنا يكمن مزجه بين الجانب الصوفي، والجانب العلمي، لقد كان في إشراقاته الصوفية كثير من الحكمة وكثير من العقلانية .

حتى إن "بارمنيدس" Parménide (540 ق.م – 480 ق.م) كان له تأثير كبير على أفكار "أفلاطون"من خلال إشراقات صوفية ، وهي إشراقات منطقية؛ لأنها وضعت حسب نظريات المنطق ، فالحقيقة عنده ليست مخلوقة ، وغير قابلة للهدم ، وهي مطلقة ثابتة ، واحدة لا تتغير ، أزلية أبدية ، بين حياتها وموتها بُعْدٌ ،لا يمكن تَخَيُّلُهُ [1].

هذه بعض المظاهر التي تجلى فيها امتزاج العلم ، ببعض العقائد القريبة من الدين وبالتحديد الصوفية ، وهذا الطرح قدّمه "راسل" ، ربّما حاول من خلاله تجاوز الصراع الذي حكم العلم و الدين قرونا طويلة، من خلال تأكيده على أن هناك من الصوفية ما فيه حكمة قد تأخذنا إلى الاستمساك بها إذ يقول :" إن عاطفة التصوف –إذا تم تحريرها من المعتقدات التي لايقوم على صحتها دليل ، وإذ لم تكن كاسحة لدرجة تجعل صلة الإنسان بعيدة عن واقع الحياة العادية– يمكنها إضفاء شيء ذي أهمية بالغة ، وهو نفس نوع الأشياء ولكن بصورة مركز الذي يوفره الاستغراق في التأمل ، إن الرحابة والسكينة والعمق جميعها قد تستمد جذورها من هذه العاطفة ، حيث تختفي الرغبات المتمركزة في الذات ، وحيث يصبح العقل مرآة تعكس اتساع الكون الفسيح " [2].

[1] برتراند راسل : عيادة الإنسان الحر ، المصدر السابق ، ص 27.

[2] برتراند راسل : الدين والعلم ، المصدر السابق ، ص 188.

يبدو أن "راسل" وجد في الصوفية كثيرا من الحكمة التي توجد في العلم ، إنّها تنتج الراحة والسكينة ، تجعل الإنسان جزءا لا يتجزأ من الكون الفسيح ، لكن ليس التصوف الممزوج بالمعتقدات ، بل ذلك التصوف البعيد عن الذاتية ، الذي ينبذ كل معتقد ديني يؤدي على نتائج كارثية .

"إن العلم يعتمد على الإدراك والاستدلال ، وترجع مصداقية العلم إلى حقيقة مفادها أن مدركاته من النوع الذي يمكن لأي إنسان أن يضعها موضع الاختبار ، إن المتصوف نفسه قد يكون على يقين من أنه يعرف الحقيقة ، وأنه ليس بحاجة إلى الاختبارات العلمية ولكن على المتصوف الذي يقبل هذه الشهادة، إخضاعها لذات النوع من الاختبارات العلمية مثل تلك الاختبارات التي تطبق على من يقول ذهب للقطب الشمالي "[1].

فالمتصوف يحتاج دائما إلى تجاوز معطيات الذات ، ليصبح عقله مرآة عاكسة لهذا الكون الفسيح ، فهو يحتاج رغم إغراقه في التأمل إلى نوع من الارتباط بالواقع المحسوس الذي يعيشه ، من أجل أن تكون تجربته الصوفية تجربة مثمرة .

هذا هو نوع التصوف الذي دافع عنه "راسل" وخصّص له مؤلفا ، ربط بينه وبين المنطق ربطا منطقيا ، جعل منه صورة من صور الحكمة التي يحتاجها الإنسان ، من أجل تحقيق التكامل المعرفي في حياته ، ومن أجل أن تكون الفلسفة دليله ، والعلم وسيلته التي يجب أن يعتمد عليها لتحقيق الراحة والسكينة والطمأنينة .

وبحديث "راسل" على التصوف جعلنا فعلا نؤكد مرّة أخرى أن خبرة " راسل" في الكتابة جعلته لا يستقر على رأي واحد ، فهو اتخذ من الشك منهجا في حياته ، بل هو دليله ، لهذا يعدّل أفكاره كثيرا ، فرغم عدائه الشديد للدين ، نجده يستثني مجالا قريبا جدّا من الدين هو التصوف مع الاعتدال في التعبير عنه .

[1] برتراند راسل : الدين والعلم : المصدر السابق، ص 177.

نتائج الفصل :

من خلال ما سبق تحليله نستنتج مايلي :

- العلاقة بين العلم والدين من منظور "راسل" هي علاقة جدلية ، فالعلم والدين ظاهرتان اجتماعيتان متقابلتان تحكمهما علاقة تنافر ، أي علاقة صراع.
- حاول "راسل" في كثير من كتاباته حول الموضوع ؛ أن يبيّن مظاهر الصراع بين العلم والدين ، ولقد ركّز على "الحقبة الوسيطية" ، أين شهدت العلاقة بين الدين والعلم توترا كبيرا ، ترجمه الصراع الذي دام قرونا طويلة .
- رغم انتصارات الدين التي عرفت قديما ، إلا أنه بقي مصدر التخلف ، فهو لم يقدم مساهمات للحضارة ، لهذاعتبر "راسل" الدين أساس التخلف ، ولا سبيل للخروج من هذا التخلف إلا بالأخذ بمعطيات العلم ،القائم على المنهج التجريبي، المؤدي إلى نتائج يقينية وموضوعية.
- الصراع بين العلم والدين في أوروبا يمكن اختزاله في صراع بين الكنيسة والعلم بين الإيمان والتجرِبة ، فالكنيسة كانت مصدر الاضطهاد الذي عانى منه العلماء بفعل اكتشافهم لكثير من الظواهر التي تعكس ما جاء في الكتاب المقدس .
- بعد خروج الإنسان الأوروبي من الحقبة الوسيطية ، بدأ العلماء في الحصول على كثير من الحرية ، وهي الحرية التي مكنتهم من كشف كثير من الأخطاء في الكتب المقدسة وبالتالي بقي الصراع موجودا ، وقد تعزّز في عصر التنوير ، الذي بدأ العلم يفرض منطقه على كثير من المجالات .
- استثنى "راسل" من الصراع التصوف ، ليس التصوف بمعناه العقدي ، بل التصوف الذي يحتوي كثيرا من الحكمة التي من شأنها أن تقود الإنسان للسعادة .

خاتمـــة

بعد هذا التحليل المتواضع لإشكالية العلاقة بين العلم والدين، عند الفيلسوف الإنجليزي "برتراند راسل" نصل إلى أنّ : الفلسفة العلمية احتلّت مكانا كبيرا في فكر "راسل" فهو يعدّ بحق شخصية علمية وفلسفية متفرّدة ، لقد كان مجهوده ينصب حول التقريب بين الفلسفة والعلم ، أوتحقيق التكامل بينهما ، فاتجه نحو ردّ الرياضيات إلى المنطق ، هذه المحاولات جعلته يعتمد على مناهج العلوم الطبيعية في تحليلاته ، فكان من رواد "الفلسفة التحليلية" من جهة والفلسفة الوضعية الواقعية من جهة أخرى ، وأهم ميزة اتسمت بها هذه الفلسفات هو رفضها للأبحاث الميتافيزيقية مهما كان نوعها، لأنها عبارة عن قضايا فارغة من المحتوى ولا تعالج مشكلات الإنسان الواقعية ، هذا الرفض كان بمثابة ثورة ، وهي الثورة التي أعلن من خلالها "راسل" رفضه للمعتقدات الدينية، فهي ترتبط بالخرافة والأساطير، التي تبتعد تماما عن البرهان والاستدلال السليم والمتماسك ، ومع هذا الرفض ظهر صراعه مع الكنيسة فاعتبر تعاليمها تعاليم دغماتية ساذجة ، يجب التخلي عنها ، فراح ينقدها في مبادئها وأهمّ تعاليمها ، وأبرز قضاياها (وجود الله ، الخلود ، الحياة بعد الموت) ، وغيرها من القضايا التي عبّرت في كل لحظة عن تمرّد هذا الفيلسوف على المعتقدات الدينية ، ما يثبت انتصاره للعلم ، ومع هذا الانتصار سيؤكد أن العلاقة بين العلم والدين تبنى على الصراع ، فالعلم كان ولا يزال في صراع دائم مع الدين ، بداية من عصور قديمة ، زادت حدّته واتضح أكثر في العصور الوسطى ، وذلك حين فرضت الكنيسة هيمنتها على الحركية العام ، بل واستمر حتى عصور قريبة ، ومازالت الكنيسة تلاحق منجزات العلم ، لأنها عجزت على أن تستعمل براهينه في قضاياها ، وحينما فُتح المجال للعقلانية ، كانت النتيجة كارثية ، كثير من القضايا الدينية لا يثبتها البرهان ، وما لا يقوم على البرهان لا أساس له من الصحة إنها قضايا ذاتية ، بينما العلم يقوم على الموضوعية ، وهو ما ساعده على التقدم والتصدي للكنيسة ، وبهذا تقوم العلاقة على الصراع ، ولعل أهم ما ميّز "راسل" أنه كان في بعض من كتاباته ينقلب على أفكاره ، فقد حاول مرار تهذيب هذا الصراع ، واتضح في إعجابه

بالتصوف ، وللحفاظ على مبادئه تحدث عن صوفية فيها حكمة يجد داخلها الإنسان الاطمئنان ، والتي يمكن أن تقوده إلى إنشاء فلسفة للحياة تمكنه من معالجة مشكلاته.

وفي الأخير نقول : هناك كثير من الانتقادات التي وجّهت لهذا الفيلسوف في هذا السياق ، وهو الفيلسوف الذي عايش التناقض في كتاباته ، لكن ذلك لا يلغي الدور الكبير الذي لعبه "راسل" في إثراء الفكر الإنساني ، بمثل هذه القضايا الشائكة ، التي وجدت منذ القديم ، والتي لا تزال تحتل الصدارة في حقل الدراسات الفلسفية ، فمع ظهور اكتشاف علمي تعود القضية لتظهر من جديد ، ولقد بيّن "راسل" مواطن الصراع من خلال إحصاء عيوب الدين المسيحي ، والدور الذي لعبه الدين في بناء الحضارات وتطورها ، من خلال هذا يمكن أن يجد القارئ أفقا لاستشراف المستقبل في مثل هذه الدراسات ، وهو ما يشكّل حافزا لا بأس به للاستمرار في دراسة هذه القضايا ، خاصة قضية العلم والدين عند "راسل".

قائمة المراجع والمصادر

المصادر:

أولا- بالعربية

1. برتراند راسل : الدين والعلم ، تر: رمسيس عوض ، دار الهلال ، مصر ، د ط ، د س.
2. برتراند راسل : المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة ، تر: عبد الكريم أحمد ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، د ط ، د س .
3. برتراند راسل: أسس لإعادة البناء الاجتماعي ، تر: إبراهيم يوسف النجار ، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، 1987.
4. برتراند راسل : أصول الرياضيات ، ج1 ، تر: محمد مرسي وأحمد فؤاد الأهواني ، دار المعارف ، مصر ، ط1 ، د س.
5. برتراند راسل : الفوز بالسعادة ، تر: سمير عبده ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت د ط ، 1980.
6. برتراند راسل: التربية والنظام الإجتماعي ، تر: سمير عبده ، منشورات مكتبة الحياة بيروت ، ط2 ، دس .
7. برتراند راسل : أثر العلم في المجتمع ، تر: صباح صديق الدملوجي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1 ، 2008.
8. برتراند راسل : بحوث غير مألوفة ، تر: سمير عبده ، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق ، د ط ، 2006 .
9. برتراند راسل : مالذي أؤمن به ؟ (مقالات في الحرية والعقلانية والدين) ، تر: عدي الزغبي ، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع ، سوريا ، ط1 ، 2015.
10. برتراند راسل : ما وراء المعنى والحقيقة ، تر: محمد قدري عمارة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط1 ، 2005.

11. برتراند راسل : محاورات برتراند راسل ، تر: محمد عبد الله الشفقي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، مصر ، د ط ، 1961.
12. برتراند راسل : مقدمة للفلسفة الرياضية ، تر: محمد مرسي أحمد ، مؤسسة سجل العرب ، مصر ، دط ، 1980.
13. برتراند راسل : عبادة الإنسان الحر ، تر: محمد قدري عمارة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط1، 2005.
14. برتراند راسل : فلسفة الذرية المنطقية ، تر: ماهر عبد القادر محمد ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، د ط ، 1998.
15. برتراند راسل : فلسفتي كيف تطوّرت ، تر: عبد الرشيد صادق محمودي ، مطبعة لجنة البيان العربي ، مصر ، ط1 ، 1960 .
16. برتراند راسل : في التربية ، تر: سمير عبده ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ط2 ، د س .
17. برتراند اسل : تاريخ الفلسفة الغربية (الفلسفة الحديثة) ، الكتاب الثالث ، تر: محمد فتحي الشنيطي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، د ط ، 1977.
18. برتراند راسل : تحليل العقل ، تر: ناصيف عبد الكريم ، دار التكوين للتأليف والطباعة والنشر ، سوريا ، ط1 ، 2016.
19. برتراندراسل: سيرتي الذاتية ، ج1 ، تر: عبد الله عبد الحافظ وآخرون ، دار المعارف مصر ، د ط .

ثانيا- بالإنجليزية

1. Bertrand Russell : Mysticism And Logic And Other Essay, Cornel University Library, Great Britain.

2. Bertrand Russell : The problèms Of Philosophy , Home University Library Of Modern Knowledge, London,1974.

المراجع :

أوّلا- بالعربية

1. أيّوب أبو ديّة : العلم والفلسفة الأوروبية الحديثة (من كوبرنيك إلى هيوم) ، دار الفرابي بيروت ، ط1 ، 2009.
2. أي سي جرايلينج : برتراند راسل (مقدمة قصيرة جدّا) ، تر: إيمان جمال الدين الفرماوي مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر ، ط1 ، دس.
3. إمام عبد الفتّاح إمام : مدخل إلى الفلسفة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، دط 1986.
4. إميل بوترو : العلم والدين في الفلسفة المعاصرة ، تر: أحمد فؤاد الأهواني ، الهيئة المصرية العامة لكتاب ، القاهرة ، دط ، 1973.
5. أميرة حلمي مطر : الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، دط ، 1998.
6. آلان وود : برتراندراسل بين الشك والعاطفة ، تر: رمسيس عوض ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، 1984.
7. أندروديكسون وايت : بين الدين والعلم (تاريخ الصراع بينهما في القرون الوسطى) تر: إسماعيل مظهر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر ، د ط ، 2014.
8. إتين جيلسون : روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ، تر: إمام عبد الفتاح إمام مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط1 ، 1996 .

9. بوخنسكي : تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا ، تر: محمد عبد الكريم الوافي ، مؤسسة الفرجاني ، ليبيا ، ط2 ، دس.

10. جوناثان سويفت : رحلات جيلفر ، تر: محمد رجاء عبد الرحمان الديريني ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط1 ، 1990.

11. جون ستيوارت مل : سيرة ذاتية، تر: الحادث النبهان ، دار التنوير للطباعة والنشر بيروت ، ط1 ، 2005.

12. جورج مينوا : الكنيسة والعلم (تاريخ الصراع بين العقل الديني والعقل العلمي) الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ط1 ، 2005.

13. جمال حمود : المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة (برتراند راسل أنموذجا) منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1، 2011.

14. جيل كريستيانيس : إسحاق نيوتن والثورة العلمية ، تر: مروان البواب ، مكتبة العبيكان ، السعودية ، ط2005،1.

15. هاشم صالح : مدخل إلى التنوير الأوروبي ، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، ط1 ، 2005.

16. وولتر ستيس : التصوف والفلسفة ، تر: إمام عبد الفتاح إمام ، مكتبة مدبولي القاهرة ، دط ، 1999.

17. ويل ديورانت : قصة الحضارة ، تر: فتح الله أحمد المشعشع، مكتبة المعارف بيروت ، ط6 ، 1988.

18. وليام تي فولمان : وداعا نظرية مركزية الأرض ، تر: أسامة فاروق حسن ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر، ط1 ،2015.

19. زكي نجيب محمود : المنطق الوضعي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ، د ط ، 1951.

20. زكي نجيب محمود : برتراندراسل (نوابغ الفكر الغربي) ، دار المعارف ، مصر ط2 ، د س.

21. يمنى طريف الخولي : فلسفة العلم في القرن العشرين ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، د ط ، 2000.

22. كريمة دورز: الأخلاق بين الأديان السماوية ، والفلسفة الغربية ، مركز براهين للأبحاث والدراسات ، لندن ، ط2 ، 2016.

23. محمد كامل خطيب وآخرون : حرية الاعتقاد الديني (مساجلات الإيمان والإلحاد منذ عصر النهضة إلى اليوم) ، دار بتر للنشر والتوزيع ، دمشق ، ط1، 2005.

24. محمد محمد قاسم: الفكر الفلسفي المعاصر (رؤية علمية) ، دار النهضة العربية بيروت ، ط1 ، دس.

25. محمد محمود الكبيسي : فلسفة العلم ومنطق البحث العلمي ، بيت الحكمة ، العراق د ط ، 2002.

26. محمد مهران : فلسفة برتراند راسل ، دار المعارف ، مصر ، د ط ، د س .

27. مصطفى غالب : برتراند راسل (في سبيل موسوعة فلسفية) ، منشورات دار مكتبة الهلال ، بيروت ، د ط ، د س .

28. محمد فتح علي خان : فلسفة الدين عند ديفيد هيوم ، تر: حيدر نجف ، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية ، العتبة العباسية (كربلاء) ، العراق ، د ط ، 2016.

29. عبد الرحمان بدوي : فلسفة القانون والسياسة عند هيجل ، دار الشروق ، مصر ط1 ،1996.

30. علي عبود المحمداوي وآخرون : الفلسفة الغربية المعاصرة ، ج1، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، منشورات ضفاف، بيروت ، دار الأمان ، المغرب ط1 ، 2013.

31. علي عبود المحمداوي وآخرون: فلسفة الدين ، منشورات الاختلاف ، الجزائر منشورات ضفاف ، بيروت ، دار الأمان ، المغرب ، ط1 ، 2012.

32. عرفان عبد الحميد فتّاح : نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ، دار الجيل ، بيروت ط1 ، 1993.

33. فؤاد كامل : أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ، دار الجيل ، بيروت ، مصر ط 2 ، د س .

34. فريديريك هيجل : جدلية الدين والتنوير ، تر: أبو يعرب المرزوقي ، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة ، الإمارات العربية المتحدة ، ط1 ، 2014.

35. فريديريك هيجل : محاضرات في فلسفة الدين (الله والفكرة الخالدة) تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، دط ، 2004.

36. فريديريك هيجل : محاضرات في تاريخ الفلسفة ، تر: خليل أحمد خليل ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، 1986.

37. ردولف متس : الفلسفة الإنجليزية في مائة عام ، تر: فؤاد زكرياء ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، د ط ، 1963.

38. رمسيس عوض ، برتراند راسل المفكر السياسي ، الدار القومية للطباعة والنشر مصر ، دط ، 1960.

39. شارلس داروين : أصل الأنواع ، تر: مجدي محمود المليجي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط1 ، 2004.

ثانيا – بالإنجليزية :

1. Nicholas Griffin, Cambridge Campanien to Bertrand Russell, Cambridge university press,2003.

موسوعات قواميس ومعاجم

أولا- بالعربية :

1. بيتر كوزمان : أطلس الفلسفة ، تر: جورج كتورة ، المكتبة الشرقية ، بيروت ، ط11 2003.
2. جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة (الفلاسفة-المناطقة-المتكلمون-اللاهوتيون) ، دار الطليعة ، بيروت ، ط3 ، 2006.
3. جميل صليبا: المعجم الفلسفي ،ج1، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، د ط ، د س.
4. مايكل هارت : الخالدون المئة، دار الرشاد للنشر والتوزيع ، الجزائر ، دط ، دس .
5. نوربير سيلامي : المعجم الموسوعي في علم النفس ، ج3 ، تر: وجيه أسعد ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، د ط ، 2001.
6. عبد الرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة ، ج1+2 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، ط 1 ، 1993.
7. روزنتال يودين وآخرون : الموسوعة الفلسفية ، تر: سمير كرم ، دار الطليعة بيروت دط ، دس .

ثانيا –بالفرنسية :

1. André comte sponville , dictionnaire philosophique, Presses universitaire de France , Paris , 2001 ,p1054.

المجلّات والدوريات والحوليات :

1. أحمد رافع : الأخلاق واللاهوت من وجهة نظر الوضعية المنطقية ، مجلة الإنسان والمجال ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المركز الجامعي نور البشير ، البيض (الجزائر) ، العدد 5 ، أفريل 2017.
2. بهاء درويش: مفهوم التحليل عند جورج إدوارد مور ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 25 العدد 1+2، 2009.
3. جمال حمود : مسألة المعنى ونشأة التحليل في الفلسفة المعاصرة ، مجلة المواقف للبحث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، جامعة مصطفة اسطنبولي معسكر ، العدد 9 ديسمبر 2014.
4. هاشم الشمري : فلسفة التربية عند برتراند راسل ،مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد العراق ، العدد 102.
5. زكي نجيب محمود : من برتي إلى برتراند راسل ، مجلة الفكر المعاصر ، العدد 34 ديسمبر 1967.
6. زكرياء إبراهيم : فلسفة تمجد الإنسان ، مجلة الفكر المعاصر ، العدد 34 ، ديسمبر 1967.
7. محمد عبد النور : جدلية الوصل والفصل بين الدين والعلم في الفكر الغربي ، دورية نماء ، مركز نماء للبحوث والدراسات ، مصر ، العدد 3 ، 2017.
8. عبد المجيد عبد التواب شيخة ، شيخة عبد الله المسند : برتراند راسل فيلسوفا ومصلحا ومربيا ، حوليات كلية التربية ، قطر ، العدد 12 ، 1995.
9. عزمي إسلام : واحدية محايدة بين العقل والمادة ، مجلة الفكر المعاصر ، العدد 34 ديسمبر 1967.

10. صدقي حطاب : برتراند راسل (الفيلسوف الذي سعى إلى الارتباط بمشاكل عصره مجلة عالم الفكر ، وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت ، المجلد الأول ، العدد الأول .
11. رافد هاشم : ردولف كرناب والوضعية المنطقية ، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية بغداد ، المجلد الأول ، العدد 4.

رسائل جامعية :

1. بلحمام نجاة : ظاهرة التصوف الايجابي عند محمد إقبال ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة ، إشراف : عبد اللاّوي محمد ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة وهران ، الجزائر ، 2011-2012.
2. زيات فيصل : المنطق والرياضيات عند برتراند راسل ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتورا ل-م-د في الفلسفة ، إشراف : دراس شهرزاد ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة وهران 2 ، الجزائر ، 2016-2017.
3. نيفين ظافر حسين الكردي : الأوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في الغرب الأوروبي من القرن التاسع إلى القرن الحادي عشر ، رسالة قدّمت استكمالا لمتطلبات الحصول على شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي ، إشراف : رياض مصطفى أحمد شاهين ، الجامعة الإسلامية ، غزة (فلسطين) ، 2011.
4. قادري عبد الرحمان ، فتيجينشتاين والتداولية (مقاربة فلسفية لمرحلة التأسيس) أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الفلسفة ، إشراف زواوي حسين ، جامعة محمد بن محمد وهران2 ، 2015 ، 2016.

فـهـرس الأعـلام

حـــرف "أ"		
أوكام	Okam	19
أوغسطين	Augustine	95
إيمانويل كانط	Emmanuel Kant	8،13،17
إسحاق نيوتن	Isaac Newton	64،65
ألفرد جولس آير	Alfred Jules Ayer	70
ألفرد نورث وايتهد	Alfred North Whitehead	5،8،9،10،28
أفلاطون	Plato	19،105
الكونفوشية	Confucianism	39
ألبرت أنشتين	Albert Einstein	22
حـــــرف "ب"		
بولس القديس	St. Paul	74
بيانو	Peano	9
حـــــرف "ج"		
جاليلو جاليلي	Galileo Galilei	80
جان جوريس	Jean Juris	54
جون ديوي	John Dewey	99
جون ستيوارت مل	John Stuart Mill	26،27،28،42،43،44،53،63
جوناثان سويف	Jonathan Swift	40
جون واطسن	John Broadus Watson	21
جورج إدوارد مور	George Edward Moore	8 ، 16 ، 28
جون لوك	John Locke	26،51
حـــــرف "د"		
ديفيد هيوم	David Hume	8 ، 31 ، 26
حـــــرف "هـ"		
هيراقليطس	Heraclitus	105 ، 106،107

هنري سيدجويك	Henry Sidgwick	61
حـــرف "و"		
وليام جيمس	William James	21
ويل ديورانت	Will Durant	96
حـــرف "ز"		
زكي نجيب محمود		2،5،8،23،32،35
حـــرف "ي"		
يوهانس كبلر	Johannes Kepler	91
حـــرف "ك"		
كوبرنيكوس	Nicolas Copernic	79،80،90
حـــرف "ل"		
لودفيج فتجنشتين	Ludwig Vittgenstein	20،30
حـــرف "م"		
ماكتجارت	Mactagart	2،7،47
مارتن لوثر	Martin Luther	91
حـــرف "ف"		
فريديريك هيجل	Georg Wilhelm Friedrich Hegel	2،7،8،13،17،30،44 45 ،46، 47،48،88
حـــرف "ز"		
رونيه ديكارت	René Descartes	04،49
حـــرف "ش"		
شارلس داروين	Charles Darwin	92،93،94
حـــرف "ت"		
توما الإكويني	Thomas d'Aquin	77،98

الـفـهـرس

الموضـــــــوع	الصفحة
البسملـــــة	
الإهـــــداء	
شكر وتقدير	
مقدمـــــة	
الفصل الأول : الفلسفة العلمية عند برتراند راسل	
تمهيد	**02**
المبحث الأول : عوامل تبلور الفلسفة العلمية عند برتراند راسل	**03**
المطلب الأول : الإرهاصات الأولى لتشكل الفلسفة العلمية عند راسل	04
المطلب الثاني : كمبردج وبداية الثورة على الفلسفات المثالية	06
المطلب الثالث : فلسفة الرياضة والمنطق	10
المبحث الثاني : نظرية المعرفة عند برتراند راسل	**13**
المطلب الأول : الفلسفة بنظرة علمية	13
المطلب الثاني : فلسفة الذرية المنطقية	17
المطلب الثالث : الواحدية المحايدة بين العقل والمادة	22
المبحث الثالث: إتجاهات في فلسفة برتراند راسل العلمية	**25**
المطلب الأول : الواقعيـــة الجديدة	25
المطلب الثاني : الفلسفة التحليلـــة	29
المطلب الثالث : الوضعية المنطقية	33
نتائج الفصل	**38**
الفصل الثاني : الفلسفة الدينية عند برتراند راسل	
تمهيد	40
المبحث الأول : المؤثرات الفكرية لرؤية راسل الدينية	**41**
المطلب الأول : البدايات الأولى مع العقائد الإيمانية	41
المطلب الثاني : الانقلاب على العقائد الإيمانية	44

المطلب الثالث : برتراند راسل والهيجيلية	46
المبحث الثاني : مطارحات في الدين من منظور راسل	**49**
المطلب الأول : الفلسفة والدين	50
المطلب الثاني : العقلانية والحرية والدين	52
1. إيمان العقلاني	52
2. الحرية	57
المطلب الثالث: الدين والتربية والأخلاق	59
1. الدين والتربية	59
2. الدين والأخلاق	61
المبحث الثالث : برتراند راسل والمسيحية (لماذا لست مسيحيا؟)	64
المطلب الأوّل : وجود الله	65
المطلب الثاني : عيوب التعاليم المسيحية	68
المطلب الثالث : اللاأدرية	70
نتائج الفصل	**73**
الفصل الثالث : جدلية العلم والدين عند برتراند راسل	
المبحث الأول : الصراع بين العلم والدين في الفكر الغربي	**75**
المطلب الأول : قبل العصر الوسيط	78
المطلب الثاني : الحقبة الوسيطية	78
المطلب الثالث : ما بعد الحقبة الوسيطية	81
المبحث الثاني : آراء برتراند راسل حول العلاقة بين العلم والدين	86
المطلب الأول : أسباب الصراع بين العلم والدين	86
المطلب الثاني : مظاهر الصراع	90
المطلب الثالث: نتائج الصراع	99
المبحث الثالث : الصوفية والمنطق	**101**
المطلب الأول : مدخل موجز إلى التصوف	102

المطلب الثاني : نظرية المنطق 104
المطلب الثالث : من المنطق إلى علاقة التصوف بالعلم 106
نتائج الفصل **113**
خاتمة **114**
قائمة المراجع والمصادر
فهرس الأعلام
فهرس المواضيع

برتراند راســـــل

BERTRAND RUSSELL

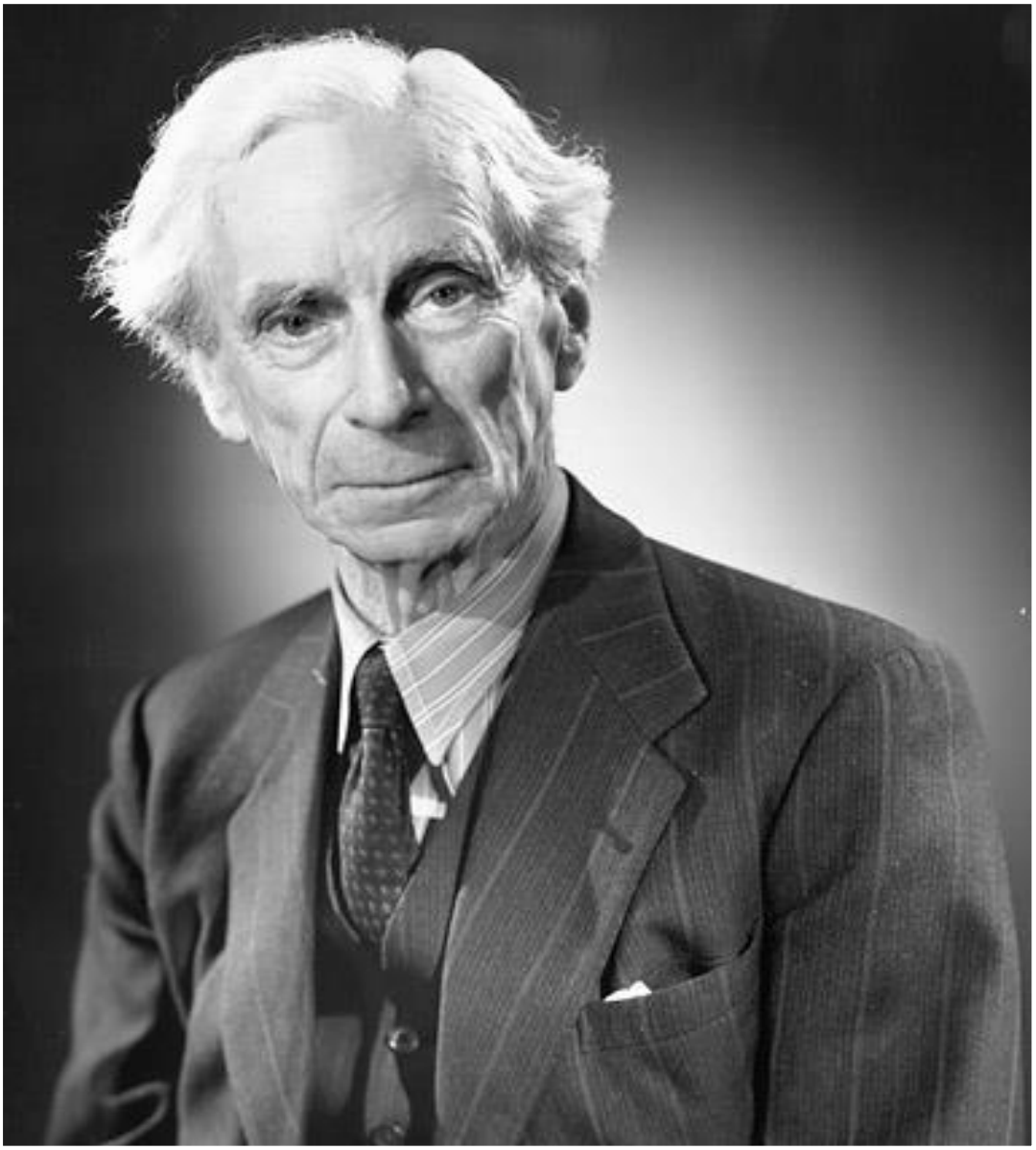

18 ماي 1872 - 2 فيفري 1970

Résumé	Abstract	الملخص

أولا- بالعربية

يعتبر "برتراندراسل" واحدا من الفلاسفة المتميّزين ، الذين اهتموا بالعلاقة بين الدين والعلم ، وقد كان علاجه لهذه القضية علاجا فلسفيا ، يقوم بالدرجة الأولى على العقلانية ، وما تقتضية من تحليل يتأسس على البراهين الثابتة ، والاستدلالات الصحيحة ، وكان يهدف من فلسفته العلمية إلى ردّ الرياضيات كلّها للمنطق، وقد استعمل مناهج العلوم التجريبية ، وهي مناهج كان لها صدى عميق في رفضه للميتافيزيقا وما يتبعها ، وبهذا نجد علاقته بالدين علاقة متوترة تبنى على احتقار ، احتقار لرجال الدين ، وتعاليم الكنيسة ، فكانت فلسفته واقعية تحليلية وضعية ، كل هذه المعطيات انعكست على تحليله للعلاقة بين العلم والدين ، إنها علاقة تقوم على الصراع ، فالدين كثيرا ما وقف في وجه تطورات العلم ، وتصدى لمنجزات العلماء ، حينما أثبت العلم أخطاء كثير من مبادئ الدين ، وتعاليم الكنيسة ، وتوجهات رجالها .

ثانيا- بالفرنسية

“Bertrand Russell“ est considéré comme l’un des philosophes compétents, qui s’intéressaient a la relation entre la religion et le science ,et il a traité cette relation par une étude philosophique qui se base beaucoup plus sur la raison et dans laquelle l’analyse se construit sur les argumentscorrect, et l’objectif de sa philosophie scientifique était de rendre toutes les mathématiques a la raison ,et il a utilisé les méthodes scientifiques expérimentales ,qui représentent des méthodes qui avaient qui refusaient totalement la métaphysique et par conséquence on trouve que sa relation avec la religion une relation perturbée construite sur le mépris, mépris envers lesclergés, et les instructions de l’église ,sa philosophie était réaliste,analytiqueet positivisme,tous ces données se voient dans son analyse a la relation entre la science et la religion , c’est une relation qui fondée sur le conflit ,car la majorité du temps la religion se contredise avec les développements de la science, et s’oppose aux créationdes savants ,quand la science prouvait beaucoup de fautes dans les principes de la religion , et les instructions de l’église.

ثالثا- بالانجليزية

“Bertrand Russell” is considered one of the special philosophers who was interested in the relation between religion and science, He analysed this issue philosophically depending in the first grade on rationalism which necessitates an analysis based on correctarguments,in his scientific philosophy, he aimedat turningall mathematics to logic in which he used the approaches of experimental sciences, these lasts had a great impact in his refusal tometaphysicsand what follows it,Thus, we find that his bad relation with religion is based on discriminating the church principles ,So , Bertrand’s philosophy was realistic ,analyticalandpositivism .all these factsare reflected in his analysis to the relation between science and religion ,based on conflict ,Because religion often stood in the face of developments in science,When science proved many of the mistakes of religion and the teachings of the Church.